

الأفق الحسبي

في حسن نظم القرآن

تأليف

عبد المنعم الصبيري

المدرس بالجامع الاحمدى

الجزء الاول

قال القاضي أبو بكر بن العربي

«ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالسلسلة الواحدة متسمة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه قلم لم نجد له حيلة اعليه وجعلناه يتناوب بين الله ووردناه اليه.

جذوق الطبع محفوظه

المطبعة العمومية بطنطا

الأفق الجديد

في حسن نظم القرآن

تأليف

عمر المنعال الصعبري

المدرس بالجامع الاحمدى

الجزء الاول

قال القاضى أبو بكر بن العربى

« ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالسكبة
الواحدة متسعة المعانى منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له
الاعالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم
نجد له حجة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله وردناه اليه .

جذوق الطبع محفوظه

الطبعة العمومية بطنطا

اهداء الكتاب

الى الشباب الناهض من أبناء المسلمين عموماً . وأبناء
للمعهد الدينية خصوصاً . أهدى كتابي هذا كنموذج لما
يطلبونه لمعاهدهم من الكتب الحية . والتسايف التي
تدب فيها روح الحياة الجديدة . وكواجب على شخص
نادى فيهم بالاصلاح فاقى منهم آلافا تردد صوته . وتتغاب
على صوت اليأس الذي كان يحاول أن يصل الى نفوسهم
حتى شعرت الاممة والحكومة بحاجتهم الى الاصلاح .
وألفت وزارات جعلت أول ما يعنىها القيام به . وألفت أحزاب
من الاممة جعلته مما تسمى اليه لدى الحكومة . فأى فوز
بعد هذا يفسينى تلك الآلام التي لقينها في سبيل تلك
المبادئ من نفر كنت معهم كما قال بعض الشعراء

أريد حياته ويريد قتلى عزيرك من خليلك من مراد
فالى أولئك الذين أثمرت فيهم تلك المبادئ أهدى
كتابي هذا . ولا أقصد به بعد الله زاني لكبير . وهو حسبي
واعم الوكيل ما عبر المنعالم الصعبرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل القرآن معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم بيلافته التي أعجزت فحول البلغاء . وحسن نظمه الذي حارت فيه عقول الأذكىاء . وحقى سره فلم يدركه إلا من أنار الله قلبه . وكشف عن بصيرته .

وبعد فلا يخفى أن القرآن نزل مفردا في ثلاث وعشرين سنة . وأن هذا الترتيب الذي نقرؤه ليس على ترتيب النزول فقد تكون الآية تلو الآية وبين نزول الأولى والثانية عدة سنين . وهذا كان سببا في صعوبة ادراك ما بين آياته من اتصال . وما في نظمه من تناسق . حتى عد هذا بعض فلاسفة الفرنج مثل (دوزي) الهولندي و (كارليل) الأنجليزى عيبا يؤخذ على القرآن . فانه في نظرهم جاء مخالفا في ترتيبه للكتب الوضعية . فليس له مقدمة مثلها . ولا مباحث متسلسلة ذات مقاصد محدودة في فصول معدودة كما يحتملها . بل هو آيات مجتمعة ذات مقاصد مختلفة . آية

وعظ تنلوها آية جهاد تتبعها آية فقه بمدها قصة رسول .
الى غير ذلك مما لا يجرى على قانون الكتابة البشرية . ولا
يتفق مع نظام التأليف المعروف

ويرى الأستاذ محمد فريد وجدى أنه لا شئ في عدم
مراعاة القرآن قانون الكتابة البشرية . بل لو كان على مثال
الكتب الوضعية في الترتيب والتبويب لكان كتابا وضعيا
لا سماويا . فالترتيب يقتصر سلطانه على الكلام البشرى .
ويجمل عنه كلام الله كما يجمل البحر عن ابن محمد بما تحده
الجداول

وهذا كلام خطائى لا يقوى على النقد . ولا يثبت
أمام البحث . فالقرآن لم يخل من الترتيب الذى قال أنه يجل
عنه . فقد نزل مفرقا كما قلنا ثم رتب على هذا الشكل الذى
تراه الآن . ثم ان له فائحة كقائمة الكتب وله سور
كأبوابها . ولو لم يكن ترتيبه على خلاف ازمنة نزوله لاجل
ومنع المناسب بجانب المناسب . وضم الشبيه الى الشبيه . اكان
الجدول من ترتيبه على ازمنة نزوله الى هذا الترتيب عيشا

وبلا حكمة . وهذا محال على الله سبحانه وتعالى
وأنه لمن أعظم الخطر أن نسلم لهؤلاء القوم أن القرآن
لا ترتيب فيه . ولا اتصال بين آياته . ولا ارتباط بين أجزائه
فأى شيء يمكننا أن نقنعهم به بعد هذا فيسلموا أنه لا عيب
فيه على القرآن . وأى شيء نقوله لهم إذا قالوا أن قرآنكم
سوى الترتيب . مفكك الأجزاء . مشتت المعاني والأفراض
أينفمنا أن نقول أن الترتيب حسن في كلام البشر غير حسن
في كلام الله . ومن الذي يقبل منا هذا والترتيب بحكم البداهة
حسن في كل شيء . ومطلوب في كل كلام فصيح
ولقد عني المتقدمون بتقسيم السور القرآنية إلى أرباع
وأجزاء متساوية القدر . لالشيء إلا تسهيل التلاوة والحفظ فلم
يعنوا فيها بضم الشبيهة إلى الشبيهة . ولا يجمع الآيات الواردة في
فرض واحد تحت اسم يجمعها . وتندرج به في السورة كما
يندرج الفصل في الكتاب . ولو عنوا بهذا لا ظهروا القرآن
أمام عامة الناس وخاصتهم متصل الأجزاء . محدود الأفراض
ولم يكن مثل دوزي وكارليل أن يرميه بأنه مفكك الأجزاء
غير محكم النظم . ولظهرت السور القرآنية أمام الناس ذات

فصول متآلفة . ترمى إلى اغراض واضحة . وتسير في طريق
لا انحراف فيه ولا تعرج . ولا يحيد عن الغرض العام الذي
وضعت له السورة

ولم يوجد من المفسرين من اعطى هذا الامر ما يستحقه
من العناية . اللهم الا قليل يقصد في بعض الأحيان لاظهار
المناسبة بين آية وآية . فلم يأت بالغرض المطلوب . ولم يحل
تلك المسألة العويصة التي تتمطش الى حلها النفوس . وتبحث
عمن ينظر لها في كل سورة نظرة اجمالية ليعرف الغرض
الذي وضعت له . ثم يقسمها بعد هذا الى فصول يمت كل
منها بسبب الى ذلك الغرض وتنتهي الى الغاية المقصودة من
كل سورة

وانها يوم تظفر بذلك يشفي منها العليل . وتحظى بأعظم
أمنية تريدها للقرآن الكريم . وأنامع اعترافنا بالعجز والتقصير
نحب ان نكون اول من يقوم بهذه الخدمة . مستمدين من
عون الله ما تقوى به ضعفنا . ومن هدايته ما ينير السبيل
امامنا . انه نعم الهادي الى سواء السبيل

من الف في هذا الفن

نقول هذا الفن مجازاة لمصاحب الاتقان الذي عده
 فنا من فنون القرآن . وهو علم جايل لم يصل اليه من العلماء
 الا القليل - قال ابن العربي في سراج المرادين . ارتباط آي
 القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسمة
 المعاني . منتظمة المباني . علم عظيم لم يتعرض له الا عالم
 واحد عمل فيه سورة البقرة . ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد
 حلة . ورأينا الخلق بأوصاف البطلة . ختمنا عليه . وجمالناه
 بيننا وبين الله ورددناه اليه . وأول من تكلم فيه الشيخ
 أبو بكر النيسابوري وكان يزري به على علماء بغداد لعدم
 علمهم به . ومن ألف فيه الشيخ أبو جعفر بن الزبير شيخ
 أبي حيان . وكتابه فيه يسمى البرهان في مناسبة ترتيب
 سور القرآن . والشيخ برهان الدين البقاعي وكان معاصراً
 لجلال الدين السيوطي . وكتابه فيه يسمى نظم الدرر في
 تناسب الآي والسور . وقد اكثر نخر الدين الرازي من
 التعرض له في تفسيره الكبير . الا أنه لم يأت فيه بما يشفي

للغليل . ولم يتعرض في الغالب الا لظاهر المناسبة بين آية
وسابقتها أو لاحقتها . ولم نجده يتعرض لربط آيات السورة
كلها حتى تكون كما قال ابن العربي ككامة واحدة . ولم
يعن بالبحث عن الغرض الذي سيقت له كل سورة وتنزيل
آياتها عليه . فهذا هو بيت القصيد . وفيه شفاء النفس
واصلاح الصدر . وارواء العقل

أما تلك الكتب السابقة فليس بين أيدينا منها شيء
ولعلها قد ذهبت بها يد الاهمال . وما نظمها كانت تغنى فيما
تطمح اليه النفس من هذا العلم قليلا . أو تؤدي من واجبه
قليلا أو كثيراً . والا لظهر اثرها في كتب المفسرين التي بين
أيدينا . فسنسير في هذا الطريق معتددين بعهد الله على
عقل لم نفرح به يوماً فذل لنا . واقتحمنا به تلك الصعاب
فلم يهين علينا . حتى فاز منها بما لا يخرج عن طوق العقول
وبما سيجد له حيلة ان شاء الله

ولعل ابن العربي اعتمد في ذلك على مثل ما يعتمد عليه
الصوفية في تفسير القرآن من علوم باطنية والهامات خفية .
واشارات دقيقة . فأنى في ذلك العلم بما رأى انه لا يمكن

أن يفهمه الناس وضمن به عليهم . وهم معذورون في عدم
 اقبالهم على تلك الالغاز والرموز . وابتعادهم عن لا يخاطبهم
 بلغة العقول . بل بلغة بدأ عصرها بالافول . وانصرف
 الناس عنها الى ما يفيدهم في هذه الحياة الدنيا

اصول عامة

تمهيد

في القرآن فنون من الاحكام الفرعية والاعتقادية
 والاخلاقية وغير هذا من فنون الوعظ وقصص الانبياء
 وحكايات الصالحين والجبارين والطائمين والمعاصين . ولو أن
 هذه الفنون قسمت على سور القرآن بحيث يكون بعضها
 للأحكام الفرعية خاصة وبعضها للاحكام الاعتقادية خاصة
 وبعضها للاخلاق وبعضها لقصص الانبياء الخ لكانت
 كل سورة في غير حاجة الى هذا العلم لظهور المناسبات بين
 آياتها . ولكن هل كان يمكن مع هذا أن يصل القرآن
 الى حد الاعجاز ببلاغته وباهر نظمه . وأي بلاغة يمكن
 أن تصل الى ذلك الحد في سورة لا تشمل إلا على أحكام
 فقهية صرفة ولا يتسع فيها المجال لتحريك المواطف بتلك

البلاغة الساحرة . وذلك النظم العجيب
لهذا جرت عادة القرآن أن يخلط بين هذه الفنون في
سوره على الاصول والامثلة الآتية

(١)

أذا أخذ في سرد الاحكام الفقهية أو نحوها يأتي بعد
كل حكم منها إذا شاء بآية أو آيات في الوعد والوعيد ترغيباً
في العمل به وتحذيراً من تركه

(٢)

أذا أخذ في سرد تلك الاحكام لا يفضى فيها إلى النهاية
بل يقطعها إلى ذكر قصص المتقدمين واعداء الدين ونحوها
تفتنا في الكلام . وتنشيطاً للخاطر

(٣)

إذا ذكر احوال العصاة انتقل إلى ذكر التوبة إذا
شاء ليرغبهم فيها ويذكر أحكامها

(٤)

إذا ذكر آيات متعلقة بموضوع واحد فلا يأتي بها في
سياق واحد . لان المقصود من تلاوة القرآن أن تكون

عظة وذكرى ولو طال سرد الآيات في موضوع واحد فأت
هذا الغرض

(٥)

أذا ذكر قصص المتقدمين يأتي في خلالها إذا شاء بما
يدل على عظة أو عبرة . لأن هذا هو المقصود من ذكرها
في القرآن . أما ذكرها للعلم بها فهو وظيفة التاريخ

(٦)

أذا سرد احكاما فقهية فلا يراعى في الغالب أن يجمع
منها ما كان من نوع واحد . بل يراعى أوقات نزولها . أو
اشتراكها في حاجة الناس اليها في الوقت الذي نزلت فيه .
وعلى هذا لا يكون سرد الاحكام محتاجا الى تكاف مناسبات
كالتى يحتاج اليها في غيره . بل يكفي ذلك في صحة الجمع
بينها دون غيرها

(٧)

أذا ذكر شرائع واحكاما فقد يذكر بعدها ما يدل على
كبرياء الله وعظمته وحكمته لتؤخذ بالقبول . ويحذر الناس
من مخالفتها

(٨)

أذا ذكر شرائع وأحكاما فقد يذكر بعدها احوال يوم
القيامة وما يكون فيها من سؤال وحساب وثواب أو عقاب
تأكيدها للعمل بها

(٩)

أذا ذكر مثلا حال المؤمنين يتبعه ذكر حال الكافرين
والمعكس بالمعكس . لان النفس تتشوف الى معرفة الضد
بذكر ضده

(١٠)

أذا ذكر شيئا ألحق به نظيره لان الحاق النظير بالنظير
من شان العقلاء كقوله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك
بالحق عقب قوله اولئك هم المؤمنون حقا فإنه تعالى أمر
رسوله أن يمضى لأمره في قسمة الغنائم علي كره من أصحابه
كما مضى لأمره في خروجه من بيته للقتال علي كره منهم
فكان الظفر والغنيمة

أذا ذكر شيئاً استطرده إلى ذكر ما بينه وبينه مناسبة
والاستطراد من مقاصد البلاغ . ويقرب من الاستطراد
حسن التخلص وهو أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام إلى
المقصود على وجه سهل يختلصه اختلاسا حتى لا يشعر به
السامع أشدة الالتئام بين الأمرين . ويقرب من حسن التخلص
الانتقال من حديث إلى آخر تنشيطا للسامع مفصولا بينهما
(بهذا) كقوله في سورة (ص) بعد ذكر الأنبياء . هذا
ذكر وأن للمتقين لحسن مآب

فهذه هي الأصول التي مشى عليها القرآن في الجمع بين
تلك الفنون التي نزل لأجلها في سورة وفي الانتقال من
غرض إلى غرض آخر من الأغراض التي تندرج تحت
الغرض العام لكل سورة . وقد تكون هناك أصول أخرى
غير التي ذكرناها . ولسنا في مقام حصر تلك الأصول وإنما
نريد الإرشاد والتقريب . مستغنيا بما ستذكره في كل سورة
من وجوه الربط والاتصال بالتفصيل عن الاطناب في
هذا المقام وفيما ذكرنا من ذلك كفاية

فاتحة القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين
اياك نميدواياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »

لم تسم هذه السورة فاتحة القرآن لانها اول سورة كما
يظن الكثيرون . وانما سميت بهذا لانها للقرآن بمنزلة
المقدمة للكتاب . فكما ان نظام التأليف يقتضى أن لا
يفاجئ المؤلف قراء كتابه بمقصوده منه . بل لا بد أن يضع
امامه مقدمة تبين غرضه من وضعه . لتكون ادعي الاقبال
عليه . كذلك لم يشأ القرآن الا أن يقدم امام مقصوده مقدمة
تشر به وتبين الغرض من انزاله للبشر

ولم يكد القرآن يتقدم هذا النظام الذي لم يسبق اليه
في اللغة العربية ولا غيرها على ما نظن . حتى هذا حدوه كل
الكتاب . وسلك سبيله كل المؤلفين . وفي هذا ا كبر دلالة
على انه أتى في نظام وضع المقدمات للكتب بأحسن نظام واكمل

لا يمسك المؤلف قلمه ليخط أول سطر في كتابه الا
وقد احاط به أجمالاً . وتوفرت الدواعي عنده الى وضعه .
فمن الواجب عليه قبل أن يشرع في شيء من كتابه أن يحمده
الله الذي هداه لهذا . وأن يشكره علي ما اوجده فيه من
تلك الدواعي التي لولاها لما توجهت نفسه إليه . وقد قال الله
تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم . فبحمد الله يستمد العون منه
ويقوى علي اتمام مقصوده

وكذلك هو في حاجة الى الالتجاء الى الله بالدعاء لينال
منه امداد او عوناً فوق الذي يناله بتقديم الحمد والشكر .
وقد قال الله تعالى - ادعوني استجب لكم - وبهذا وذلك
وجب في كل مقدمة كتاب أن تشتمل علي هذين الركنين
الحمد والدعاء - يضاف اليهما وكن ثالث هو براءة الاستهلال
وهو أن يوثق قبل الشروع في المقصود بما يشعر به . اعرف
القارئ الغرض من وضع الكتاب . ويكون علي بصيرة
منه قبل الشروع فيه . ولا يكون في طريق لا
يعرف الى اين ينهي به

فهل فاتحة القرآن أو قل مقدمته تشتمل علي تلك

الاركان الثلاثة ؟ الجواب نعم

أما اشتغالها على الحمد والدعاء فلا خفاء فيه . فقد افتتحت
بالاول واختتمت بالثاني . ومرتبة الحمد قبل مرتبة الدعاء كما
يظهر بأدنى تأمل

وأما اشتغالها على براءة الاستهلال فظاهر أيضا . لان
سورة الفاتحة تشتمل على ما حقق في كتب التفسير على معان
القرآن واغراضه اجمالا . وفيها اشارة الى ان المراد وضع
تشريع جديد . وهدى الناس الى الصراط المستقيم والدين القويم
الذي اتى به الانبياء . وفضل الناس عنه بفعل من خلفهم من
الاتباع والرؤساء الذين حرقوا كتبه وأدخلوا فيه كثيرا من
الزيغ والفسلال . وهذا هو الغرض من القرآن الكريم
وبالاشارة اليه في الفاتحة ثم اشتغالها على الاركان الثلاثة
اللازمة لمقدمة الكتاب . وباشتمال الفاتحة عليها تبين أن
للقرآن مقدمة كسائر الكتب . وأنه لم يخالف قانون
الكتابة في ذلك كما زعم الزاعمون

وافد كان العرب في الجاهلية يفتتحون كلامهم (باسمك
اللهم) وهي كلمة جافة تناسب ما كانوا عليه من غاظة الطباع

وقسوة النفوس . فاستبدل القرآن بهذا « بسم الله الرحمن الرحيم » وأثر هذين الاسمين على غيرهما من اسماء الله الكريمة لاجل أن يشير الى أن الدين الجديد دين رحمة لا يأخذ النفوس بالقسوة . ولا يكافها مالا تطيق . وأن ديننا هذا شأنه لجدير بأن يقبل الناس عليه . ويسيروا تحت لوائه . فانظر ماذا في الافتتاح « بسم الله الرحمن الرحيم » من الترويج لهذا الدين الجديد . وهكذا كل شارع في امر جديد لا يغفل عن الترويج له . والتنويه بشأنه . وكم تحت آيات القرآن من اسرار ودقائق

سورة البقرة

سميت هذه السورة بذلك لأن قصة البقرة التي ذكرت فيها امر شئ يمكن أن تمتاز به عن غيرها . والغرض منها دعوة بني اسرائيل الى الايمان . وأما قدم دعوتهم على غيرهم من النصارى والمشركين لانهم أقدم من النصارى ولأن كثيرا منهم كان قاطنا بجوار المسلمين بالمدينة . ولانهم أهل كتاب بخلاف المشركين فأمرهم أهم من أمرهم

ولما كان القرآن هو الداعي إلى الإيمان وجب الاهتمام
بأثبات أنه من عند الله قبل البدء بتلك الدعوة ليكون ذلك
كتمهيد لها. ولما كان الإيمان عبارة عن أصول وفروع وكانت
منزلة الأصول قبل منزلة الفروع جعل دعوتهم على قسمين
فدعاهم في الأول إلى أصول الإيمان من التصديق بالنبى والقرآن
وسائر ما جاء به وأقام لهم الأدلة على نبوته ودفع ما عندهم
من شكوك فيها . ودعاهم في الثانى إلى فروعها فبين لهم
من أحكامه العملية ما شاء . وقد عمهم بالدعوة إليها فى أول
حكم منها ثم خاطب المؤمنين بها لانهم المقصودون بها والذين
يقومون بما كلفوا به منها

ولما فرغ من هذا وذاك وقام بواجب الدعوة من الوجهة
النظرية فأقام الأدلة ودفع الشبه وبين ما أراد من محاسن
أحكام الاسلام . انتقل الى بيان وسائل نجاح الدعوة من
الوجهة العملية فرغب النبى والمؤمنين فى القتال فى سبيل
الله . وأنفاق المال فى أعلاء كلمته . ثم ختم السورة بالتنويه
بشأن من اجاب الدعوة ولم يتكبر كما تكبر نبوا اسرائيل بل
سمع وأطاع وعد ذلك قليلا بجانب ما الله عليه من حقوق

وواجبات فهذه أمور خمسة تعرضت لها هذه السورة تراها
متناسبة الوضع . حسنة الترتيب . لها عميد ومقاصد وخاتمة
كأني بصنع مثلها في السكتب الوضعية

﴿ القرآن من عند الله ﴾

الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين

الآيات الى قوله تعالى

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

اثبت أن القرآن من عند الله بدليلين أولهما أن القرآن
هاد الى الصراط المستقيم . وكل ما كان كذلك فهو من عند الله
لان من يدعو الى الله ويهدي اليه لا يصح أن يكذب عليه
ثم ذكر أن من لم يهتد به اما معاند وأما منافق . فالاول
قد حتم الله على قلبه فلم يهتد به . والثاني في قلبه مرض يقف
به في نصف الطريق فيؤمن بلسانه ولا يؤمن بقلبه . ومثله في
هذا الايمان الذي لم ينتفع به كمثل من أوقد ناراً اضادت ما حوله
ولم تلبث أن ذهبت فيل أن تضيئ نفسه . وقد ذهب في بيان
حال للفريقين ما شاء ثم أمرهم أن يؤمنوا بالله الذي خلقهم

ويتركوا العناد والنفاق

وثاني الدليلين أنه لو كان القرآن من عند النبي لا يمكنهم أن يأتيوا بمثله لأنه بشر وهم بشر. ولكنهم لا يمكنهم أن يأتيوا بمثله . فهو من عند الله لا من عنده

وبعد أن قرر هذين الدليلين دفع ما اعترضوا به من أن فيه ما لا يصح أن يكون من عند الله من ضرب المثل بالبعوض والذباب . فقال أن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها . فكل ما يفعله الله لا يخلو من حكمة . علم ذلك المرمنون فاهتدوا وجعل به الكافرون فضلاً وكفروا بالله وهو الذي أحياهم من العدم للبع الخ

ثم ضرب قصة آدم لذلك مثلاً . وبين أن اللاتسكة وهم أرق منهم كانوا يجهلون حكمة الله في خلق آدم فلما علموا بها أقروا بفضله . وأمرهم بالسجود له فاطاعوا . وعلموا أن كل شيء من الله فهو لحكمة وإن خفيت عليهم . أما إبليس فجهل ذلك كما جهل الكفار الحكمة في ضرب الأمثال . وعاند مع جهله كمنادهم . فكان جزاؤه الطرد من الجنة . وإن حقت عليه لعنة ألي يوم القيامة

﴿ دعوة بني اسرائيل الى الايمان ﴾

يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وافوا
بعهدي اوف بعهديكم واياي فارهبون
الآيات الى قوله تعالى

وقال الذين اتبعوا اوان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرا منا كذلك
يربهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار

قد سلك في دعوة هؤلاء القوم طريقين اولهما يتعلق
بهم من حيث انهم شعب خاص من ولد اسحاق بن ابراهيم
والثاني يتعلق بهم من جهة ابناؤهم اسحاق بن ابراهيم وقد
عنى في كل من الطريقين بأمرين اولهما دعوتهم الى الايمان
بمختلف الوسائل من اقتناع وترغيب وترهيب وغيرها. والثاني
دفع ما عندهم من شبه واعتراضات

الطريق الاول (١)

بدأه بتذكيرهم بنعم الله عليهم ترغيباً لهم في الايمان.
وبالعهد الذي اخذه عليهم أن يؤمنوا بهذا النبي ثم ذكرهم
ثانياً بنعمه ليسلك بهم سبيل الترهيب ويحذرهم بما لا

تجزى نفس عن نفس شيئاً. ثم اخذ يقص عليهم أخبار آباؤهم
 الاولين واحداً اثر واحد وكيف كانوا يجازون على الطاعة
 بالخير العظيم . وعلى المعصية بالمصائب والشدائد. لتلين قلوبهم
 ويحذروا مما وقع فيه اسلافهم . وانكفروا قست قلوبهم من
 بعد ذلك حتى صارت كالحجارة أو أشد قوة (وأن من الحجارة
 لما يتفجر منه الأنهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان
 منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون)

(٢)

ثم ذكر أن مثل هؤلاء لا يطمع في إيمانهم لأنهم فريقان
 فريق عرف صدق النبي ولكنه لا يرضى أن يغضب قومه
 وفريق أعماه الجهل فلا يعرف من الكتاب للنزل عليه الا امانى
 كاذبة . منها أنهم يزعمون ان النار لا تمسهم الا أياما معدودات
 مع ان من كسب سيئة واحاطت به خطيئته فهو مخلا في النار
 (والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم
 فيها خالدون)

(٣)

ثم اخذ يقص ما كان من اسلافهم مع أنبيائهم من تقص

هودهم وتكذيب كل من جاءهم منهم بما لا تهوى أنفسهم
 أو قتله . وهذا هو الذي يفعله خلفهم مع هذا النبي وقد كانوا
 يستفتحون به على أهل يثرب قبل أن يهاجر إليهم . فلما جاءهم
 ما عرفوا كفروا به بغيا وحسدا . وقالوا عندنا التوراة أمرنا
 أن نؤمن بها ونكفر بما وراءها . ولو كانوا يؤمنون بها
 كما يزعمون ماقتلوا الأنبياء الذين جاؤوهم لتقريرها . ولما عبدوا
 المعجل والأوثان من بعد وفاة موسى بل في حياته لما تركهم
 ليسمع وحى الله فوق الطور فاستفواهم السامري إلى عبادته
 ولما آثروا الحياة الدنيا على الآخرة التي تكون خالصة لهم
 لو كانوا هم المؤمنون . فهم أحرص الناس على الحياة وأبعدهم
 عن العمل الآخرة . ولما عادوا جبريل لأنه نزل عليك القرآن
 بأذن الله وهو من الملائكة الذين لا يعاديهم إلا الكافرون
 (من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل وميكال فأن
 الله عدو للكافرين)

(٤)

ثم ذكر أن الذي انزل عليه ليس مما امروا أن يكفروا
 به وإنما هو آيات بينات ما يكفر بها إلا الفاسقون . وقد

أخذ عليهم العهد أن يؤمنوا بها إذا جاءتهم لا أن يكفروا
بها . ولكنهم نبذوا ذلك العهد واتبعوا كتب الكفر والسحر
التي ينسبها الأشرار كذبا إلى سليمان بن داود (ولو أنهم آمنوا
واتقوا المشوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون)

دفع الشبهة

هذا هو المقصد الثاني في هذا الطريق . وقد ابتدأه
بتحذير المؤمنين من هؤلاء القوم ومما كانوا يؤذون به النبي
من قولهم راعنا وغيره . وبين أنهم لا يودون لهم من خير .
كل هذا تمهيد لما سيذكره من شبههم وتحذير الهم منها . وقد
ذكر لهم شيئا ثلاثة أوهاا تتعلق بالنسخ فزعموا انه لا يجوز
على الله . وقد اجابهم عنها بأن في النسخ من المصاحفة ما
يقطع معها بجوازه . وبأن الله له ملك السموات والارض
ينسخ ما يشاء ويثبت ولا شريك له في ملكه . ولا حرق
لاحد في أن يسأل رسوله عن ذلك سؤال تعنت كما كان
يسأل موسى من قبل . وأن مثل هذا السؤال لا يولد في نفوس
اليهود الا الحسد والحقد على المؤمنين . والواجب عليهم أن
يتأبلوا هذا بالعمو والصفح حتى يأتي امر الله بالفتح والنصر

فانيها ما زعموه من أنه لا يدخل الجنة الا اليهود والنصارى
وقد اجاب عن هذا بأنه من الاماني الكاذبة وانما يدخل الجنة
بالاعمال الصالحة . وبأن اليهود والنصارى ليسوا علي اتفاق
في ذلك . فاليهود تقول في النصارى انها ليست علي شيء كما
تقول النصارى مثل هذا في اليهود فكذلك يقولون مثل
هذا في غيرهم . وكلها أقوال فارغة يعبر الله أنها باطلة . ومن
أظلم من اليهود والنصارى وكل منهما يسمى في تخريب بيوت
الآخر التي يذكر فيها اسم الله كما خربت النصارى بيت المقدس
لان اليهود يولون وجوههم اليه أما المسلمون فلا يستحلون
تخريب تلك البيوت ويرون أن الانسان أينما ولي وجهه فثمة
وجه الله سواء تلك البيوت وغيرها . ثم هم مع ذلك يعبدون
مع الله آلهة أخرى أولادا وأندادا ونحوها

ونالها ما زعموه من أنه لا معجزة لهذا النبي كغيره
من الانبياء وقد اجاب عن هذا بأن الله أرسله بالحق الواضح
بشيرا ونذيرا فليس في حاجة إلى مثل تلك المعجزات . وبأن الله
يعلم أنهم لا يرضيهم منه إلا أن يتبع ملتهم ولو جاءهم بتلك
الآيات . وبأن الكتاب الذي انزل عليه هو معجزته عند من

يتلوه حق تلاوته (أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)

الطريق الثاني

بدأه أيضا بتذكيرهم بنعم الله عليهم وأنه فضاهم على غيرهم ترغيبا وبتخويفهم من يوم لا تجزى نفس شيئا ترهيبا . ثم أخذ يقص عليهم من أخبار جدتهم ابراهيم ومهم اسماعيل ما يثبت لهم فضل العرب الذين بعث النبي منهم . وقد كانوا يرونهم أمة حقيرة لا يصح ان يبعث منها نبي من الانبياء . فذكر أنهما هما اللذان بنيا البيت وجمعا لاه قبلة للناس وشرعا الحج اليه . وطلبا من الله أن يجعله أمنا للناس وأن يرزق أهله من الثمرات . وأن يبعث فيهم رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويرشدهم إلى صلة ابراهيم التي لا يرغب عنها الا من سفه نفسه . من اليهود والنصارى ومشركي العرب الذين يفخرون بنسبتهم إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويخالفون شريعتهم التي وصى بها ابراهيم بنبيه من بعده (تلك أمة قد خات لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون)

دفع الشبه (١)

ثم ذكر لهم شبهتين في هذا الطريق أولاها أنهم زعموا أن اليهودية او النصرانية هي ملة ابراهيم وقد اجاب عن هذا بأن ملة ابراهيم كانت شريعة الانبياء من ابراهيم الى موسى وعيسى . فهي لا تفرق بين بنى وبنى كما تفرق اليهودية الموجودة الآن والنصرانية

والثانية أنهم زعموا أن ذلك البيت لم يكن قبلة الانبياء وإنما هي بيت المقدس . فن يتولى عنهم الى ذلك البيت بعد أن كان يستقبلها تبعاً للانبياء من قبله لا يكون نبياً وقد اجاب عن هذا بجوابين أولهما أن المشرق والمغرب والجهات كلها لله فله أن يختار منها أي جهة شاء . والتغالي في مسألة القبلة الى هذا الحد لا يليق بالامة الاسلامية التي جعلها الله أمة وسطاً واختار لها ديناً لا أفرط فيه ولا تفريط . وإنما جعل الله قبلة المسلمين ذلك البيت لأنه رأى نبيه يقاب وجهه في السماء ليجمعه قبلته به . وأن رأى أن اليهود لم يشر فيه . ثم تحويل القبلة الى بيت المقدس . ورأى ان الاسلام لا يقوم الا بالعرب الذين لا يرضون الا ذلك البيت قبلة لهم . لان في ذلك

حياتهم وتحقيق دعوة جدتهم ابراهيم
 نانيهما ان اهل الكتاب يعلمون ان استقبال ذلك البيت
 هو الحق ولكنهم يكتفون به تعصبا ولا يتبعونه كما لا يتبع
 بعضهم قبلة بعض . فهم يعرفون كما يعرفون ابناءهم ان
 النبي الذي يبعث من ولد اسماعيل يستقبل ذلك البيت الذي
 بناه مع ابيه ابراهيم فالواجب على المسلمين ان يستقبلوه
 حينما كانوا ائلا يكون لاهل الكتاب حجة عليهم اذا زكوه
 الى غيره . وليعلموا ان الله اراد ان يتم نعمته عليهم بذلك بعد
 ان جعل رسوله منهم . فليشكروا الله وليستعينوا على اذى
 هؤلاء القوم بالصبر والصلاة . فسيصيهم من ذلك الاذى
 شئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والافس ولكن
 ذلك تكون عاقبته خيرا اذا تحمله المسلمون والتجأوا الى الله
 في دفعه عنهم (اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
 هم المهتدون

(٢)

ثم ذكر ان الصفا والبروة كالبيت الحرام من شعائر
 ابراهيم . وان هذا معلوم لليهود ايضا ولكنهم يكتفون به

من بعد ما بينه الله لهم في الكتاب . وأوعدهم على هذا بأن
عليهم لعنة الله (خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون)

(٣)

ثم ختم دعوتهم إلى الايمان بتذكيرهم بان الله واحد
وأن هذا لا يتفق مع الخيالاتهم رؤساءهم اننادا بحبوتهم
كحب الله . ويطيعونهم في رفض دعوته طاعة عمياء . مع
انهم لا يفطنون عنهم من عذاب الله شيئا بل يتبرأون منهم
حينما يرون هول ذلك العذاب . وحينذاك يقول الذين
اتبعوهم (لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبراؤا منا كذلك
يرىهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار
احكام الايمان

يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا
خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين

« الآيات الى قوله تعالى »

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهقلون

الاحكام التي ذكرت في تلك الايات هي - ١ - تحليل
 الطيبات التي حرمها الكافرون على انفسهم اتباعا للشيطان
 ولما وجدوا عايه آباءهم ولو كانوا الا يعقلون شيئا. وانما حرم
 الله عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير لا غيرها . ولكنهم
 يكتفون ما انزل الله في ذلك ويشترون به ثمنا قليلا. وليس
 من البر ان يفعلوا ذلك الامر الكبير . ويهتمون بالاسور
 الثانوية في الدين كتولية الوجوه في الصلاة الى الشرق
 والمغرب وانما البراعة تصحيح (بالله واليوم الاخر والملائكة
 والكتاب والنبين) وعمل جميل من صدقة وغيرها. وخلق
 حسن من صبر وصدق وغيرها. فان هذا هو الذي
 يصد عن اتباع الباطل وكنم الحق مما أنزل الله - ٢ -
 القصاص وأنه يجب فيه أن يؤخذ الحر بالحر . والعبد بالعبد
 والاثني بالاثني . وأن العفو وأخذ لدية جائز في الاسلام
 - ٣ - طلب الوصية للوالدين والاقربين عند الموت - ٤ -
 فرض صيام شهر رمضان على الذين يطيقونه . ووجوب
 الغدية على من لا يطيقه لعذر دائم . ووجوب فضائه على
 من يفوته صيامه لعذر طارئ . وندب احيائه بالذكر والتكبير

والدعاء . وتحريم الرفث في نهار رمضان وتجويزه في ليله
وتجويز الاكل والشرب حتى يتبين الخيط لا يبيض . من
الخيط الاسود من الفجر . ٥- تحريم اكل اموال الناس بالباطل
٦- عدم جواز الحج الا في مواعيده التي جعلها الله الأُلهة
مواقيت لها . وابطال اتيان البيوت من ظهورها حين الالهلال
وتجويز القتال فيه دفاعا عن النفس الخ الخ - ٧- تحريم
الخصام والسعي في الارض بالفساد . ودم من يفعل ذلك
من الناس ومدح من لا يفعله ويشترى نفسه ابتغاء مرضاة
الله . فلا يخاصم من يخاصمه ولا يؤذى من يؤذيه . وقد
حذر المسلمون أن يسلكوا مسالك من قبلهم من التناؤذ وترك
الاتحاد والمسالمة . والا قضى عليهم كما قضى على بنى اسرائيل
وقد اغتروا بما أنعم الله عليهم . وزينت لهم الحياة الدنيا فتناؤذوا
وتخاصموا . وسخر بعضهم من بعض . وكان هذا سببا في
زوال نعمتهم . وذهاب دولتهم . وقد كان الناس قبل هذا
التفرق امة واحدة . لانه لا غنى لبعضهم عن بعض . وقد
ارسل الله النبيين مبشرين ومنذرين وداعين الى الاتحاد
وانما حصل هذا الاختلاف بدمهم . من اتباعهم حينما بنى

بعضهم على بعض . واذى الذين ضلوا بعمد هم من بقى متمسكا
بهديمهم . ولا يأنظر منهم الا ان الان يفعلوا معكم مثل الذى
فعلوه مع من قبلكم . فقد مستهم البأساء والضراء منهم . وزلزلوا
(حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه حتى نصر الله الا
أن نصر الله قريب) - ٨ - حكم النفقة من جهة صرفها
وانها تصرف للوالدين والاقربين الخ - ٩ - فرض القتال
وانه يجوز في الاشهر الحرم للضرورة - ١٠ - تحريم الخمر
والميسر - ١١ - حكم النفقة من جهة انها تصرف من فضل
الاموال - ١٢ - حل كفالة اليتامى بالاصلاح ومخالطتهم
في المسأكل والمشرب - ١٣ - تحريم نكاح المشركات -
- ١٤ - تحريم الوطء في الحيض وتجويز اتيان النساء في
قبلهن انى شاء الانسان - ١٥ - حكم الحلف بالله - ١٦ -
حكم الايلاء وعدة لمولى عليها - ١٧ - عدة المطلقة بعد
الدخول وجواز مراجعتها بلا محلل ان طلقت مرة او مرتين
وعدم جوازها الا به أن طلقت ثلاثا وتحريم إمساكها
ضاركا بأن يراجعها في آخر عدتها ليطلقها ثانياً وتستأنف
عدة أخرى وتحريم منعها من الزوج بعد انقضاء عدتها

غيرة عليها. فإذا كان لها ولد فلها حق الرضاع والنفقة حولين
 كامين - ١٨ - عدة المتوفى عنها زوجها وتجويز التمريض
 بخطبتها في أثناء عدتها - ١٩ - نفي العدة للمطلة قبل الدخول
 واثبات المتعة لها إذا لم يسم لها مهر . فإن كان لها مهر فلها
 نصفه . والأقرب للتقوى أن تعطاه كله . وأن لا ينسى
 المطلق والمطلقة ما كان بينهما من فضل ومودة . حتى لا
 يكون الطلاق سببا للتقاطع والفرقة بين المسلمين . ولا
 شئ يذهب أثره غير المحافظة على الصلوات التي شرعت
 لجمع الكلمة وإزالة التقاطع . فيجب على المسلمين المحافظة
 عليها في كل حال . ولو عظم الخوف واشتد القتال . وان
 يعلموا أن المتوفى عنها زوجها احق بتطبيب الخاطر من
 المطلقة قبل الدخول . فيحسن ان تمتع أيضا وأن ينفق عليها
 حولا في بيت زوجها . الا اذا شاءت الخروج من نفسها
 بل يحسن تمتيع المطلقات كاهن ولو كان طلاقهن بعد الدخول
 بهن . فذلك قوله تعالى (وللمطلقات متاع بالمعروف حقا
 علي المتقين . كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تغفلون)

وسائل نجاح الدعوة

الم تر الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم أحيوا ثم إن الله لذو فضل على الناس
ولكن أكثر الناس لا يشكرون
الآيات الى قوله تعالى

لله ما فى السموات وما فى الارض وأن تبدوا ما فى أنفسكم
أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
والله على كل شئ قدير

(١)

وسائل نجاح الدعوة أمران . الجهاد بالنفس وبذل المال
وقبل أن يأمر المؤمنين بالجهاد بين لهم أن الذى يضمن النجاح
للمجاهدين شجاعة النفس . لا كثرة العدد . فنبههم الى قصة
الذين خرجوا من ديارهم خوفا من عدوهم وهم الوف كثيرة .
ولما قضى الله على ذلك الجيل الذى خرج من بلاده جينا مع
كثرتهم عاد خلفهم فاستردوا بلادهم مع قتلهم بشجاعتهم
ثم أمر المؤمنين بالقتال ووعدهم عليه بالاجر وبسط
الرزق وهذا ينصرهم على أعدائهم كما نصر هؤلاء القوم على

اعدائهم بعد أن اخرجوهم من ديارهم فاجتمعوا على قتلهم
ثم بين أن هؤلاء القوم كانوا من بنى اسرائيل اخرجهم
الفلسطينيون من ديارهم فطلبوا من نبيهم أن يولى عليهم
ملكاً يحاربون تحت رايته اعداءهم فنصب لهم طالوت ملكاً
وذهب بهم الى قتال اعدائهم فغلبوهم مع قتلهم وقتل داود
وكان فلانما يرى الغم (جالوت) جبار الفلسطينيين. تجازاه
الله على ذلك بالملك والنبوة وعلمه مما يشاء الخ الخ

ثم ذكر أن هذه القصة ما كان النبي ليعرفها وهو أمي
لو لم يكن من المرسلين الذين بعثهم الله للناس وفضل بعضهم
على بعض وأيديهم بمختلف المعجزات. ولو شاء الله لهدى
أقوامهم من بعدهم فآمنوا بهذا النبي الذي جاءهم بالآيات
البيدات من هذه القصة وغيرها. ولكنهم اختلفوا (فمنهم من
آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل
ما يريد) (٢)

ثم تكلم بعد هذا على الجهاد بالمال فأمرهم بالاتفاق مما
رزق الله من قبل أن يأتهم يوم لا ينفعهم فيه خلة ولا شفاعة
فأن الله هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم. ولا شريك

له ولا شفيع (وسع كرسيه للسموات والارض ولا يؤوده
حفظهما وهو العلي العظيم) (٣)

ثم بين أن الغاية من الجهاد ليست اكرام للناس على
الدخول في الدين . وانما هو للدفاع عن النفس . فان الايمان
بتوفيق الله يخرج به المؤمن من الظلمات الى النور . ومن لا
يريد ايمانه لا ينفع فيه . كيف ولا اكرام . فهذا نمرود غلبت
عليه الشقوة فلم تقدمه حجة ابراهيم التي بهت بها . وهذا
الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها . اراد الله هدايته
فاهتدي بالآية التي اراه اياها . وهذا ابراهيم (قال رب
ارني كيف تحيي الموتى قال او لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن
قل قال اخذ اربعة من الطير فصهرهن اليك ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سميا واعلم ان الله عزيز حكيم)

(٤)

ثم تكلم على احكام الجهاد بالمال واولها انه يجب أن
يكون في سبيل الله وابتغاء مرضاته . ليضاعفه له في الدنيا
ويدخر به اجرا عند ربه في الآخرة . اما الذي ينفق ماله
للمن والأذى فخير منه قول معروف ورد جميل لانه لا فائدة

فيه . ومثله كمثل صفوان عليه تراب اصابه مطر فتركه صليدا
 أما الذي ينفق ابتغاء مرضاة الله فهو كجنة بريرة اصابها مطر
 فانت أكلها صافين . وانه لا يابق بما قل أن يبطل صدقاته
 بالمن كما لا يودان تكون له جنة فيها من كل الثمرات فيصيبها
 أعصار فيه نار فيحرقها

وثانيها انه يجب ان ينفق الانسان من أحسن ما عنده
 ولا يسمع للشيطان الذي يحسن له الاتفاق من الخيث
 ويخوفه من الفقر . وأنه لا يبلغ في الاتفاق هذه المنزلة منزلة
 ابتار الغير بأطيب الكسب الا من يكون قد بلغ درجة
 الحكمة . ومن نال هذه الدرجة فقد اوتى خيرا كثيرا

وثالثها ان الله يعلم ما ينفقه العبد في السر والمان . وأن
 اخفاء الصدقة أحسن من إعلانها . وأنه لا يؤثر اخفاء الصدقة
 الا القليل من الناس الذي اراد الله هدايته . وعلم انه يكتسب
 من صدقته عند الله أكثر مما يكتسبه العبد منه . وأن الصدقة
 الحقيقية ما تكون لوجه الله لا ليتحدث بها الناس

وزابمها أن أحق الناس به الفقراء (الذين احصروا
 في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض بحسبهم الجاهل

غنياء من التعفف) الآية (٥)

ثم استأنف الكلام في فضل الاتفاق في سبيل الله سرا
وعلانية ليبين فضله على الربا الذي كانوا يتعاملون به وما كان
يليق ان يتركهم يتعاملون بالربا بعد أن امرهم بالاتفاق . حرم
الربا وبين انه ليس مثل البيع . وهدد من يتعامل به بالنار
في الآخرة وبعق ماله في الدنيا . ووعد الذين يتركونه بعظيم
الاجر . و امر من كان يتعامل به أن يترك ما بقي له منه
ويقتصر على رأس ماله . وان يعهل المعسر من غرمائه الى أن
يزول عسره . ثم حذرهم أن عادوا الى الربا من يوم يرجعون
فيه الى الله (ثم توفي كل نفس ما سببت وهم لا يظلمون)

(٦) ك

ثم ذكر حكم القرض بعد حكم الاتفاق والربا استيفاء
للاقسام وتعميما للكلام . لان المال أن يذل للغير لا يسترد فهو
الاتفاق . وأن يذل له يسترد فإن كان في مقابلة نفع فهو
الربا . والا فهو القرض

فبين أنه يطلب كتابة الدين . والأشهاد عليه . فإن لم
يكن كاتب قرهان مقبوضه . ومن طلب للشهادة فلا يكتبها

وليعلم ان الله سيحاسبنا على شهادتنا (فيغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء والله على كل شيء قدير)

الخاتمة

آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون — الآية
ألى آخر السورة

دعا بنى اسرائيل الى الايمان بما انزل الله فأعرضوا .
فأعرض عنهم وقال يكفيننا أن يصدق به الرسول وأتباعه
ثم بين تواضعهم في ايمانهم ليظهر فضلهم على بنى اسرائيل
واستكبارهم في كفرهم . فهم مع ما نالهم من الفضل بايمانهم
يقولون (لا يكاف الله نفسا الا وسعها لها ما اكتسبت وعليها
ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا
تحمل علينا اصر الكملة على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا
مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا
فانصرنا على القوم الكافرين)

سورة آل عمران

سميت تلك السورة بذلك لذكر قصة آل عمران فيها .
ومن يقرأ هذه السورة جملة يجد أنها نزلت وقد كثرت المسلمون
وأقبلت الدنيا عليهم . واصبحوا لا يرهبون اعداءهم من
اليهود والنصارى . فاختلطوا بهم واتخذوا منهم اولياء وبطانة
وامتدت أعينهم إلى ما عندهم من اموال وفيرة . وقناطر مقنطرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة . فأخذوا منهم واعطوا
وطاملوهم بالربا وتعاملوا به . واحبوا المال حبا جعلهم يقاتلون
للمشركين حبا فيه . ويخالفون امر الرسول كما حصل في غزوة
أحد لا جيل الحصول عليه . وما كان أعداءهم من اليهود
والنصارى يخلصون في مودتهم وإنما أرادوا الوصول الى
التأثير عليهم في دينهم بواسطة ما فيه من المتشابه وغيره وكان
لهذا نتيجة سيئة ظهر أثرها في غزوة أحد . أذ هزم المسلمون
فيها شر هزيمة لأول مرة . واصبحوا يرون لانفسهم رأيا
مع رسول الله . فقد رأى ان يقاتل المشركين في المدينة فرأوا
اغترارا بكثرتهم أن يقاتلوه في أحد . وامر الرماة ان لا

يبرحوا امكاهم فبرحوه انى جمع المال وكان ما كان مما قدر
الله . فنزات سورة آل عمران لدفع الشبهه التى حاول النصرارى
واليهود ان يؤثروا بها فى نفوس المسلمين . ولتحقير ما أحبوههم
له من متاع الحياة . ولتحذيرهم من التودد اليهم وبيان الاضرار
التى عادت عليهم من الاغترار بهم . وينحصر ذلك فى مقدمة
ومقصد ابن وخاتمة

فالمقدمة فى تهديد الاصول التى تندفع بها شبههم . وتحقير
ما عندهم من اسباب الفنى والمظنة التى يخفون من زوالها
اذا أسلموا بجانب ما انعم الله به على المسلمين من دينه الحنيف
واعده لهم من السعادة الاخرى . والمقصد الاول فى دفع تلك
للشبهه . والمقصد الثانى فى تحذير المسلمين من التودد اليهم
وبيان سوء اثره فيهم . والخاتمة فيما يجب ان يعنى به المسلمون
بدل الاغترار بمتاع الحياة . من النظر فى ما كرت السموات
والارض . وتكميل النفس بالعلم والايمان . لتمتال السعادة الابدية
بدل ذلك المتاع القليل . وهذا وقد عني هذا امر المصطفى ودفع
شبههم وأبطال عقائدهم اكثر من اليهود . بعكس سورة
البقره . فإذلك ذكرت هذه السورة بعدها

المقدمة

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
الآيات الى قوله تعالى

الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين

بالاسحار

مهدي للمقاصد الآتية في هذه السورة بأمور أولها أن
الله واحد حي قيوم — ثانيها أن الله كما انزل القرآن والتوراة
والإنجيل ليهتدى بها . خالق لنا العقل (الفرقان) لنفرك به
بين الحق والباطل . وتدع التمهيب الذي يعنى الذين يكفرون
بآيات الله فلا يستعملون عقولهم ليهتدوا بها — ثالثها أن
الله عالم بكل شئ في الارض والسماء . ويصورنا في الآرحام
كيف يشاء . بواسطة ماء الاب ومن غير واسطته — رابعها
أن القرآن فيه محكم ومتشابه ومن الواجب أرجاع المتشابه
الى المحكم . ولكن الذين أعماههم الغرور بكثرة المال والولد
يتبعون المتشابه ليفتنوا المسلمين . وهي لا تغنى عنهم من
الله شيئا كما لم تغن عن آل فرعون والذين من قبلهم أموالهم

وكما لم تغن عن كفار قريش في غزوة بدر كثرتهم وكانت
 فثهم ضعف فئة المسلمين . على أنها لا تذكر بجانب ما اعده
 الله في الآخرة للمسلمين (الذين يقولون ربنا اننا آمننا فاغفر
 لنا ذنوبنا وقتنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين
 والمنفقين والمستغفرين بالاسحار)

دفع الشبه

شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وألوا العلم قائما
 بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
 الآيات الى قوله تعالى
 يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب
 ردوكم بعد أيمانكم كافرين

(١)

قالت النصراني أن القرآن نص على أن المسيح روح من
 الله . وأنه ولد من غير أب . وهذا دليل على الوهيته . فرد
 عليهم بأن الله واحد يشابه نفسه والملائكة وأولى العلم
 فالدين عند الله هو الاسلام لله وحده وما خالفه أهل الكتاب

ألا وهم يعلمون أنه الدين الحق . فأن كانوا طلاب حق لا رواد
 شبهه فليرجعوا إلى ذلك الدين ليهتدوا . والأفاعيلك إلا البلاغ
 والله بصير بهم وبما كانوا يأتون من قتل الأنبياء ومن يأمر
 بالفسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم . وبمحبوط أعمالهم في
 الدنيا والآخرة . وكيف لا نجازيهم بذلك وقد دعوتهم إلى
 كتاب الله فأعرضوا . ولم يخافوا من أعراضهم عنك اغترارا
 بما يفترون من أن النار لن تمسهم إلا بما معدودة . ويعرفون
 عاقبة غرورهم بأنفسهم وبأنهم أبناء الله وأحببائه يوم توفى
 كل نفس ما كسبت . وتجازى بما عملت . فليدعوا ذلك الغرور
 فأن الملك لله وحده يعز من يشاء من المؤمنين . ويذل من
 يشاء من أولئك الذين قالوا أن النار لن تمسهم إلا بما معدودات
 وليعلم المؤمنون ذلك فلا يعزون بغيره من أعدائه
 ومن يفعل ذلك فليس من الثقة بالله في شيء . وليعلموا أن
 الله يعلم ما يخفونه من ذلك وما يظهرونه . وأنه لا يجتمع حب
 هؤلاء مع حب الله ورسوله . فليحبوا الله وحده بحبهم .
 وأن تولى المنافقون واستمروا على مواليتهم (فأن الله لا يحب
 الكافرين)

(٢)

ثم أخذ يفصل لهم أمر عيسى . وأنه من بيت اصفاه
الله من عهد آدم الى نوح الى ابراهيم الى عمران والد مريم
عليها السلام . ما منهم الابن اوتى (ذرية بعضها من بعض)
فدستحيل ان يشذ عنهم عيسى ويدعى لنفسه الألوهية . ثم
ذكر ولادة أمه وفضل الله عليها وتربية زكريا لها لبشير الى
أن مثلها يستحيل ان يأتي بعيسى من سفاح كما تزعم اليهود
وقد بلغ من أمرها أن زكريا تمنى ان يكون له ولد مثلها
فرزقه الله يحيى في حين أن امرأته كانت عاقرا . وفي حين
انه كان قد بلغ من الكبر عتيا . فهي ولادة عجيبة أيضا
كولادة عيسى من غير أب . ولهذا ذكرها هنا . معها تخفيفا
لغرابتها . وتقريبا لها من العقول

ثم ذكر ولادة عيسى أن صار رسولا يخلق من الطين
كهيئة الطير ويبرئ الآلهة والابرص ويحيى الموتى بأذن الله
وداعيا الى عبادة الله لا الى عبادته الى أن وفاه الله ورفعته اليه
فمثل عيسى في ولادته من غير أب . كمثل آدم في خلقه
من تراب . كل منهما لا يدل على أن الولود الله أو ابن الله

ثم ذكر أن هذا هو القصاص الحق . وأن الواجب عليهم بعد هذا أن يجتمعوا معنا على كلمة سواء بيننا وبينهم (الانبيد الا الله ولا تشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون)

(٣)

وقالت اليهود والنصارى للمسلمين الذين يدعون أنهم على ملة ابراهيم أن ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا . وهذه هي الشبهة الثانية فردها عليهم وبين أنهم يجهلون دين ابراهيم كل الجهل . فعجيب أن يحاجوا فيه كما يحاجون في دين موسى وعيسى الذي يعلمونه نوعا ما من العلم . فما كانت ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا . وان أولى الناس به الذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا به . وما يريد أهل الكتاب الا أن يضلوم عن ملته . وما يضلون الا انفسهم اذ يكتُمون ما عندهم من الآيات على أن الله سيبعث نبيا من ولد اسماعيل على ملة ابراهيم (ويلبسون الحق بالباطل ويكتُمون الحق وهم يعلمون)

(٤)

وكان من أهل الكتاب من يستعمل الحيلة والنش في

القاء الشبهه في قلوب المسلمين فيؤمنون بالنبي ليكفروا به
 فيؤمنوا المسلمين انه لو كان على حق ما رجعوا عنه . وقبل
 أن يفعلوا هذا يأخذون على أنفسهم العهود أن يرجعوا إذا
 آمنوا ولا يؤمنوا الا لمن تبع دينهم فبين للمسلمين أنهم يفعلون
 هذا كراهة أن يؤتى غيرهم من الدين مثل ما أوتوا . اذ
 يرون أنهم شعب الله الخاص . فيستحلون أن يكيدوا للمسلمين
 بهذا كما يستحل بعضهم اكل اموالهم ويقولون ليس علينا
 في الاميين سبيل . وكما يستحلون أن يلجوا السننهم بكتابتهم
 ويحرفوه عن معناه ليفتنوهم عن دينهم

ثم ذكراته لا يمكن أن يتبع النبي دينهم ليؤمنوا به
 وقد آتاه الله القرآن والحكم والنبوة والدين الصحيح . افتركه
 الى دين يأمر بعبادة غير الله فيقول للناس كونوا عبادا الى
 من دون الله . ويأمرهم باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كما
 تفعل اليهود في عزيز والنصارى في عيسى والروح القدس
 هذا بعد أن اسلم الناس لله على يديه . وبعد ان أخذ الله الميثاق
 على النبيين واتباعهم أن يؤمنوا بدينه ويتبعوه . أفيتبعهم
 وهم المأمورون باتباعه . أو يبعون غير دين الاسلام دين

الغطرة) وانه اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها)
دين ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وموسى
وعيسى وسائر النبيين . ولكن كيف يهدى الله اليه قوما
كفروا بعبادتهم بأولئك الانبياء فغيروا في دينهم وبدلوا
وشهدوا أن الرسول حق ولكن التعصب يعمدهم عنه .
اولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله الا من تاب منهم ولم
يصر على الكفر احد اذ يجعل التوبة منه بعيدة . فهذا جزاؤه
ان يخلد في النار وتوافق ملء الارض ذهباً صدقة في قومه
ولا ينجيه من ذلك قدا في الآخرة ولو كان قدر هذا الذي
تصدق به . فأن لا طريق الى الجنة الا الايمان بالله وانفاق
الانسان مما يحب في بيته (ان تناولوا البر - الجنة - حتى
تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم)

(٥)

وقالوا أيضا لله مسلمين لركنتم على مله ابراهيم والنبيين
من بعده ما حلالم ما كان محرما عليهم كالحم الابل . وهذه
هي الشبهة الخامسة

فرد عليهم بان كل الطعام كان حلالا لابي اسرائيل .

وأما حرم ما حرم عليهم بظلمهم . والتوراة شاهدة على ذلك
فأتوا بها لنظلمكم عليه . والا (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا
وما كان من المشركين) (٦)

وقالوا كذلك لو كنتم على ملة أولئك الانبياء لاتخذتم
بيت المقدس الذي انفقوا على تعظيمه قبلة لكم . ولم تصلوا
الى الكعبة بدله . وهذه هي الشبهة السادسة

فرد عليهم بأن الكعبة من بناء ابراهيم واسماعيل وفيها
كان يقوم ابراهيم لعبادة الله . اما بيت المقدس فمن بناء
سليمان بن داود . فالكعبة أقدم منه وأشرف . وأنهم ليعرفون
ذلك بما عندهم من الآيات التي يكتمونها . ويصدون بذلك
(عن سبيل الله من آمن تبنفونها عوجا وأنتم شهداء . وما الله
بغافل عما تعملون)

المقصد الثاني

يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا
الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين
الآيات الى قوله تعالى

ولله ملك السموات والارض والله على كل شيء قدير

(١)

ابتدأ بتحذير المؤمنين من اهل الكتاب والاستماع
لشبههم . وأمرهم بالنقوى والاعتصام بحبل الله وترك التفرق
وان يكونوا أمة تدعوا إلى الخير وتأمر بالمعروف . فأنهم
ما كانوا خيرا أمة أخرجت للناس إلا بهذه الخصلة العظيمة
خصلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولو أنصف أهل
الكتاب لعرفوا ذلك الفضل لهم وآمنوا مثلهم . ولكنهم
انقسموا قسمين . كافرون وهم الاكثرون . وهؤلاء لا شغل
لهم الا أذيء المسالمين بأسانهم . ومحاولة تشكيكهم في دينهم
وأن يقاتلوهم يولوهم الادبار ثم لا ينصرون . فقد ضربت عليهم
الذلة والمسكنة بما كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء
بغير حق وما كانوا يعتدون

ومؤمنون وهم طائفة قليلة آثرت الاستقامة وأن
تكون ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فلن يضيع
عليها ما قدمته من خير . بخلاف تلك الطائفة الفاسقة . فلن
تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيئا . ولا
ينفعهم ما ينفقونه منها في هذه الحياة على انفسهم . ويكون

(كذل ربح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته
وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون)

(٢)

ثم حذرهم أن يتخذوا منهم بطانة يظلمونهم على اسرارهم
وبين أنهم لا يخلصون لهم ولا يحبونهم كما يحبونهم . بل ان
تمسبهم حسنة تسوؤهم وأن تصببهم سيئة يفرحوا بها . ككفر حوا
بما أصابهم يوم احد أذ غدا النبي يموثهم مقاعد للقتال . واذ
هت طائفتان منهم ان تغشلا من شدة ما نزل بهم . وبتأثير
ما بشوه فيهم من عوامل التشبيط حين الجلوس اليهم

ثم ذكر كيف نصرهم يوم بدر لاول هجرتهم وهم أذلة
ليس لهم من هؤلاء الاعداء ولى ولا نصير . وقد جعل الله
هذا النصر بشرى لهم . وليقطع طرفا من الكافرين . ويتوب
على بعض ويعذب بعضا ظالمين (والله ما فى السموات وما فى
الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم)

(٣)

ثم أراد أن يقلع من نفوسهم حب المال الذي أثر فى
هزيمتهم . فحرم عليهم الربا الذي أصبحوا يأكلونه كما تأكله

اليهود الذين اختلطوا بهم اضعافا مضاعفة . فصاروا مثلهم في حرصهم على جمع المال حرصا جعل الرماة في تلك الغزوة يتركون موافقهم إلى الغنيمة بعد أن أمروا أن لا يفارقوها ثم أمرهم أن يطيعوا الرسول ولا يعمدوا إلى عصيانه . وأن يستغفروا ربهم مما حصل منهم . وأن ينفقوا من مالهم في سبيل الله ويتركوا الحرص عليه . وأن يكظموا غيظهم ويمسحوا عن أساءتهم في تلك الغزوة . وأن يعتبروا بسنة الله فيمن سبقهم من الأمم الطائفة والمعاصية ليحذروا من مثل ما وقعوا فيه . وأن لا يحزنوا مما حصل لهم لأن الله أراد أن يمتحنهم به ويظهر المؤمنين الحقيقيين من المنافقين . وليكون لهم قدوة بمن قاتل مع الأنبياء السابقين من الربين الذين لم يهتوا لما أصابهم في سبيل الله (فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله بحب المحسنين)

(٤)

ثم نهض لرد كيد المنافقين الذين أراد أن يستغلوا هذه الهزيمة في فض المؤمنين من حول النبي فرد لهم شبهتين أولاهما أنهم قالوا للمؤمنين لقد وعدكم النصر ولو كان صادقا ما شزمتهم .

فرد عليهم بأن الله قد صدقهم وعده ونصرهم إلى أن خالفوا
 أمر النبي فكذب عنهم نصره وتغلب عليهم أعداؤهم فولوا
 منهزمين إلى أن ثبتهم الله وانزل عليهم آمنة نعاما الخ
 الثانية أنهم قالوا للمؤمنين قد اشرنا عليكم ان لا تخرجوا
 للقتال نخالفكم ولو لم تخرجوا ما قتلتهم هنا وبقيتم آمنين في
 بيوتكم. فرد عليهم بأن الاجل واحد والله هو الذي يحيى
 ويميت وبأن من يقتل في سبيل الله له من الثواب خير مما
 يجمعون (ولئن متم او قتلتهم لالى الله تحشرون)

« ٥ »

ثم عاد الى النبي والمؤمنين وقد خالفوا رأيه في عدم
 الخروج الى المشركين وقتالهم في المدينة. وقال بعضهم (الرماة)
 انما بادرنا الى الغنيمة لانا خفنا ان يقول النبي من اخذ شيئا
 فهو له ولا يقسم بيننا كما لم يقسم يوم بدر. وقال بعض آخر
 كيف تغلب ونحن مسلمون ظاننا ان المسلم لا يغلب. فامرهم
 ان يعفو عنهم ولا ينقطع بسبب هذا عن مشاورتهم. وبين
 لهم ان النبي ما كان لياخذ الغنيمة لنفسه ولا يقسم بينهم فمثل
 هذا يكون غلولا يقتز به الانبياء. وخصوصا هذا النبي

الذي من الله على المؤمنين به فلا يمكن أن يجور فيهم . ثم
بين لهم ان الهزائم يوم أحد بعد انتصارهم في بدر وغيرها
انما كان منهم . وقد اراده الله ليربهم ويعلمهم الاعتماد على
النفس وعدم الاغترار بمن لا يخلص لهم من المنافقين الذين
كانوا يعتمدون عليهم . فلما طلبوهم للقتال خذلوهم . ولما قتل
من قتل منهم شمتوا بهم وقالوا « لو أطاعونا ما قتلوا فل
فادراوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين »

« ٦ »

ثم بعد ان فرغ من درس تلك الهزيمة ولوم الذين تسببوا
فيها . أخذ يمدح الذين ثبتوا مع النبي ولم يهزموا . فبين أنهم
أرضوا الشهداء الذين هم احياء في قبورهم فرحين بما آتاهم الله
من فضله وبإلطفه بأخوانهم . أذلم يكن المشركين منهم بل
أتق فيهم قوة بعد الهزيمة امكنهم بها أن يذهبوا مع النبي
ألى حراء الأسد حينما بلغه ان المشركين تجمعوا لالتفاف
القتال ثانيا . فلما علموا بذلك خافوا وهضوا إلى مكة . أما
المسلمون فساروا إليهم ولم يعجبوا بمن خوفهم منهم « انما
ذلكم الشيطان يخوف أوليائه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم

« مؤمنين »

(٧)

ثم أخذ يسلي النبي وينهاه أن يحزن من مسارعة المنافقين
إلى الكفر وشماتة اليهود الذين كانوا يظهرون المودة للمسلمين
أذ ظنوا أنهم لا يقوم لهم بعد تلك الهزيمة قاعة . فأكد له أنهم
لن يضرروهم بعدها . وبين أنه إنما على أعدائهم ليطفوا ثم
يذيقهم عذاب مهينا . كما يتركهم يبخلون بما آتاهم الله من فضله
عن أنفاقه في سبيله ليطوقوا به يوم القيامة . وأنه يسمع ما
يقولونه ثم كما حين يؤمرون بالانفاق (أن الله فقير ونحن
اغنيا) فسيكتبه لهم ويضيفه إلى سيئاتهم القديمة مع انبيائهم
وقتلهم لهم . ومع هذا النبي الذي يقولون له حين يدعوهم
إلى الإيمان أن الله عهد الينا ان لا تؤمن لرسوله حتى يأتينا
بقربان النخ النخ

ثم ذكر ان المسلمين سيستمعون منهم أذى كثيرا فمجب
ان يقابلوه بالصبر ليكونوا من أهل العزم . وان يذكروا
أنهم اخذ عليهم الميثاق ان يؤمنوا فنبذوه وراء ظهورهم
فلا يصح ان ينتظروا منهم غير ذلك . ولقد اشتروا بنقض
هذا الميثاق ثمنا قليلا . وفرحوا بما آتاهم من نقضه مع أنه لا

يتمكن أن يفوتهم العذاب عليه « والله ملك السموات
والارض والله على كل شيء قدير »

الخاتمة

أن في خالق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولى الباب الايات الى آخر السورة

لما كان بناء السورة على أن الكفار مقترون بما عندهم
من مال وولد. وان المسلمين أخذوا يداخلهم هذا الغرور. ختمها
بأن هناك ما هو أهم من المال والولد. وهو العلم الذي يستفيدة
الانسان من النظر في خالق السموات والارض. فانه حينما ينظر
الانسان في هذا الخالق العجيب يعلم أن الله ما خلقه باطلا. فيستمد
بالإيمان الذي ينجيه من عذاب النار. ويستجيب لمن يدعوا اليه
ولا يتكبر او يتعنت عليه. فيجازيه الله بما عنده من حسن
الثواب الذي هو خير من ذلك للمتع القليل الذي يغتر به الجاهلون
ثم يكون ما واهم جهنم وبئس المهاد
ثم بين أن من أهل الكتاب من نجاه الله من هذا الغرور

نخضع لله وآمن بالقرآن والكتب التي أنزلت إليه. فهذا لا يحرمه
الله أيضا من الأجر. وذلك كالنجاشي الذي آمن بالنبي وعجز
عن الهجرة إلى دار الإسلام ليعرف ما يجب عليه بدل الأيمان
من الأحكام

ولما كان العلم وحده لا يكفي في تهوين أمر الدنيا على
المسلمين بل لا بد لهم أن يستعينوا مع هذا بالصبر أمرهم به
فقال « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون »

سورة النساء

سميت هذه السورة بذلك لأن معظم ما ذكر فيها من
الأحكام يتعلق بالنساء. وقد جاءت هذه السورة بعد سورتي
البقرة وآل عمران اللتين كان معنى فيها بالدعوة إلى الأيمان
وتذكر فيهما بطريق العرض الآداب والأحكام. بخلاف هذه
السورة التي معنى فيها بشرح الأحكام ويذكر فيها بطريق
العرض ما كان معنى به في هذين السورتين مما يتعلق بدعوة
المنافقين وأهل الكتاب

وقد افتتحت هذه السورة بتذكير الناس بأنهم من أصل واحد. ليكون هذا تهيدا وبراعة مطلع لما يذكر فيها من أحكام القرابة بالنسب والمصاهرة. وما يتعلق بذلك من أحكام النكاح والأرث. ولما طال الكلام في آخرها في ذكر حال المنافقين وأهل الكتاب ولم يكن هذا من مقاصد هذه السورة. عاد نختمها بذكر حكم الكلالة في آية كالتى افتتحت بها لئلا تخرج السورة عن المقصود منها: وليعلم أن ما ذكر من ذلك لم يكن مقصودا بالذات بل كان لمناسبة. فيكون السياق من أول السورة الى آخرها في ذكر الاحكام. ويلتئم بهذا البدء والختام

براعة المطلع

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

لما كان المتصود من السورة بيان الاحكام الواجبة وغيرها. ابتدأها بالامر التقوى التى هى امتثال الاوامر واجتناب النواهي. ثم ذكر الناس بأنهم من أصل واحد. لان

معظم ما يذكر من تلك الاحكام في هذه السورة يتماق بالقرابة
والزوجية . ثم اعاد الامر بالتقوى تأكيذا وتمهيدا للامر
بصلة الارحام الذي هو المقصود من معظم التشريع الموجود
في هذه السورة

الاحكام

وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ أَنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا
الآيات الى آخر السورة
أحكام اليتيم والسفه

أمر بأبناء اليتامى أموالهم وحرم على الاولياء أكل شيء
منها . وقد كانوا يتزوجون اليتيمات طمعا في أموالهم ولا
يعطونهن من المهر مثل ما يعطون غيرهن فحذرهم من هذا .
وذكر لهم أنه لم يضيّق عليهم في نكاح النساء حتى يقهروا
انفسهم على نكاح اليتيمات . بل وسع لهم في الجمع بين الزوجات
الى أربع . فعلى من يخاف عدم القسط في نكاح اليتيمة وطمع
نفسه في مالها ومهرها أن ينكح من يشاء من غيرها . من اللاتي
لهن حق التصرف في مهرهن . ويصح أخذ مهرهن إذا

طابت نفوسهن

ثم نهاهم أن يوثقوا السفهاء من يتامى وغيرهم أموالهم
ما داموا سفهاء . وأمرهم أن يمتطوها لهم إذا أنسوا منهم
رشداً (فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله
حسيباً)

احكام الارث

ذكر منها هنا احكاماً أولها أن النساء يرثن كما يرث
الرجال . وكانوا في الجاهلية يحرمونهن من الميراث . لانهن لا
يحملن السلاح . ولا يكتسبن كما يكتسب الرجال . وثانيها أنه
إذا حضر قسمة التركة او لو القربي من غير الورثة واليتامى
والمساكين فلا يليق أن يحرموا من شيء يمتطونه منها كما يليق
بالحالم . ولو بصفة الهبة او الهدية . وثالثها أن اليتامى يرثون
كما يرث الكبار . وكانوا في الجاهلية يحرمونهم من الميراث
لضعفهم كالنساء . مع أن من كان يفعل هذا مع اليتامى لا يرضى
أن يفعل غيره مثله مع ذريته إذا تركهم ضعافاً . فالواجب أن
يتركوا ما يقولونه في حرماتهم ويقولوا غيره قولاً سديداً .
ولا يأكلوا ما تركه لهم آباؤهم ظلماً وعدواناً

وبعد تمهيد هذه الاصول بين نصيب كل وارث على ما هو معروف ومسطور . أخذ في ذلك حدوداً أئذ من يتعداها « ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين »

حكم المساحقة واللواط

بين في حكم المساحقة أنه لا بد في أثباته من شهادة أربع به . فأذا شهدوا بحبس المساحقة صيانته لها حتى تموت أو تتوب وفي حكم اللواط أنه الايذاء بالفعل والقول إلى أن يتوباء . ثم بين متى تقبل التوبة من هؤلاء ومن غيرهم . وأنها لا تقبل من الذين يعملون السيئات « حتى إذا حضر أحدهم الموت قال أني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذاباً ألماً »

ابطال اوث النساء كرها

كان الرجل إذا مات في الجاهلية ورث امرأته من يرث ماله . فكان يعضلها حتى يتزوجها أو يزوجها من يشاء أو تقتدى نفسها بما أخذته من مورثه . فأبطل ذلك وحرم عضل النساء من وارث أو زوج لا خدشي من مهورهن إلا أن يأتين بفاحشة معينة . وأوجب عشرتهن بالمعروف ثم بين أن المهور تدفع في

نظير استمتاع الرجل بالمرأة . لا تملك بهار قبته حتى تورث
أو تعضل من وارث أو زوج اترد اليهما ما أخذته ، وكيف
تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذ منكم بثاقا غايظا)

محرمات النكاح

عد منها امرأة الأب والامهات والبنات والاخوات
والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت والام من
الرضاع والاخت من الرضاع وأم الزوجة وبنت الزوجة
المدخول بها وأخت الزوجة ما دامت في العصمة وزوجة الغير
الا السبايا اذا ملكن ولهن ازواج . وأحل ما وراء ذلك بمقد
الزواج وحرم السفاح واتخاذ الأخدان . ثم امتن عليهم بنعمة
الزواج الذي هرسنة الانبياء وأمحمد من قبلهم . وبين أنه يريد
به أن يتوب عليهم من الزنا واتباع الشهوات (يريد الله ان
يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا)

تحريم التعدي على المال والنفس

حرم أكل اموال الناس بالباطل . وأحل الكسب والتجارة
وحرم قتل النفس . وأرعد من يفعل ذلك بالمذاب الشديد . وقال
لمن يحتذبه (أن يجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم . يثباتكم

وندخلكم مدخلا كريما)

تحريم التحاسد

حريم التحاسد وأن يتمنوا ما فضل الله به بعضهم على
بعض وأرشدهم إلى أن كلا من الرجال والنساء والاقربياء
والضعاف يرزق بقدر عمله وكسبه . فالواجب ترك الحسد
وطلب الفضل والرزق من الله بالسعي والكسب . ثم اشار إلى
أن التفاضل بين العباد بالرزق ان لم يكن بكسب حادث
فبكسب قديم قام به الوالدان والاقربون واخذه من اخذه
منهم بطريق الارث وهو حق من الحقوق التي لا يصح
انكارها ولا حسد احد عليها (ولكل جعلنا موالى مما ترك
الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم
ان الله كان على كل شئ قديرا)

حق الرجل على المرأة

بين ان للرجل القوامة على المرأة بما فضله الله عليها
في القوة والعقل . فان كانت سالحة فيها والافله حق تأديبها
فان وقع شقاق بينهما حكم بينهما اثنان من أهلها وأهله . أن
يريدا أصلاحها يوفق الله بينهما أن الله كان عليما خبيرا .

حق الله والوالدين

بين ان حق الله أن يعبد وحده وان حق الوالدين
 الاحسان اليهما . وكذا الاقارب واليتامى والمساكين النخ النخ .
 والاحسان يكون بالتواضع لهم وبذل المال لسد فاقاتهم . فلا
 يختال عليهم ولا يبخل . وإذا أنفق فليكن انفاقه لوجه الله
 لا للرياء . ثم انذر من يخالف ذلك يوم ما يود فيه «الذين كفروا
 وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله
 حديثا»

بعض احكام الصلاة

الصلاة حق من حقوق الله وقد ذكر من احكامها هنا
 انها لا تصح من سكران النخ . وكان السبب في هذا أن بعضهم
 صلى وهو سكران فخرف في القرآن . وقرأه قبل يا أيها
 الكافرون اعبد ما تعبدون « فحرم عليهم هنا الصلاة في حال
 السكر . وأمرهم بالنظر في حال أهل الكتاب الذين اشتروا
 الضلالة بالهدى ليذكروا لهم أن مثل ذلك التحريف الذي وقع
 من بعضهم وقع من اليهود قبلهم في كتبهم فأرغمهم في المصيان
 وحال بينهم وبين الايمان بالقرآن الذي نزل مصداقاً لهم من

الكتب قبل تحريفها . فلو لا ذلك التحريف لكان حالهم غير
الحال التي وقعوا فيها بسببه

وقدمضى بسبب هذا على طريق الاستطراد في ذكر
بعض احوالهم وقباثتهم . فذكر منها ماشاء . ثم اوعد الذين
كفروا منهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها
ووعد الذين آمنوا « جنات تجري من تحتها الانهار خالدون
فيها ابداء لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا »
حق الراعي والرعية

ذكر ان حق الرعية على الراعي ان يرد الامانات الى
اهلها ويحكم بينهم بالعدل . وان حق الراعي عليهم ان يطيعوه
كما يطيعون الله والرسول ويرجعوا اليه عند التنازع في
امورهم . ويسكون الحكم بينهم عند التنازع كتاب الله
وسنة الرسول . ومن لا يرضى بالتحاكم اليهما يكون من
المنافقين الذين يزعمون أنهم يؤمنون بما انزل الله من الكتب
والاحكام . ثم لا يرضون بالتحاكم اليها بل يتعاضدون الى
الطاغوت الذي امروا أن يكفروا به . فاذا اصابتهم مصيبة
يرجعون الى النبي ويخلفون أنهم ما ارادوا بتحاكمهم الى غيره

الا احسانا وتوفيقا . والله يعلم أنهم يبطنون خلاف ما يظهرون .
 ولو أنهم صدقوا وندموا حقيقة على ما فعلوا لوجدوا الله توابا
 رحيمًا . أما هذا الخداع فلا يفهمهم ولا يدخلهم في عداد
 المؤمنين . واعلموا يفهمهم أن يحكموا الرسول في كل ما شجر
 بينهم . وترضى نفوسهم بما يقضى به في تنازعهم . ولو أنهم
 فعلوا ذلك وهو سهل عليهم اذ لم يكلفوا بقتل نفوسهم ولا
 بغيره من التكاليف الثقيلة التي كلف بها غيرهم لا تاهم الله
 اجرا عظيما . وأدخلهم جنتهم مع الذين انعم عليهم من النبيين
 والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا
 « ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما »

فرض القتال واحكامه

أمرهم أن يأخذوا حذرهم قبل ان ينفروا الى القتال
 من الاعداء الداخليين (المنافقين) الذين يشبثون عن القتال ولا
 يقاتلون . فأني اصاب المؤمنين مصيبة فرحوا . وأن اصابهم
 نصر قالوا ياليتنا كنا معهم فنفوز فوزا عظيما
 ثم ذكر ما يرغبهم في القتال من الأجر العظيم في الآخرة
 وتخليص اخوانهم المستضعفين في مكة من أيدي ظالمهم .

وأنهم يقاتلون في سبيل الله واعدائهم يقاتلون في سبيل
 الطاغوت فهم أولياء الشيطان ومن يتولى الشيطان كان ضعيفا
 ثم حذرهم أن يكونوا كالمنافقين في أمور أربعة - أولها
 خوف القتال . فأن الموت إذا جاء أجله فلا بد منه ولو كان
 الانسان في بروج مشيدة - ثانيها أنهم إذا قاتلوا فان تصبهم
 حسنة يقولوا هذه من عند الله . وأن تصبهم سيئة يقولوا
 هذه من عندك (يعنون النبي) مع أن الكل من عند الله . وما
 النبي الا رسول ونيس له من الامر شيء (وارسلناك للناس
 رسولا) فمن أطاعه فقد أطاع الله . ومن تولى عنه وتشام
 به ونسب السيئة إليه فقد عصاه - ثالثها - عدم الاخلاص
 في القتال وتنفيذ ما يطلب منهم فيه . فأنهم يظهرون الطاعة
 في حضرة الرسول . فإذا خرجوا من عنده أضمرُوا خلافها
 والله يعلم ما يضمرون ويظهر أحوالهم وخفاياهم في كتابه
 كما هي لا يختلف عنها في شيء . ولو تدبروا ذلك لعلموا انه
 من عند الله وأخلصوا في طاعتهم وصدقوا في ايمانهم -
 رابعها - اذاعة اسرار الجيوش فاذا جاءهم امر من الأمن
 او الخوف تسكون المصلحة في كتابه وتفويضه إلى الله

والرسول أذاعوا به

وبعد أن حذرهم من هذا كله . ورجبهم في القتال بما
 رغبهم فيه . أمر النبي أن يقاتل في سبيل الله لا يكلف إلا
 نفسه وليس عليه إلا أن يحرضهم على القتال فيرغبهم فيه .
 فإن اطاعوا فيها . والأقله ثواب تحريضهم عليه (من يشفع
 شفاعه حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعه سيئة
 يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقبلاً)

احكام القتال

ذكر منها هنا احكاما اولها أنه لا يجوز قتال المسالم من
 الكفار . وهو الذي يحبب المسلمين ولا يعاديهم . فهذا جزاؤه
 أن يحبب بأحسن من تحيته . ويكف عن قتاله . نازها اباحة
 قتال المنافقين بعد تحريمه . لانه لم يعد معنى لاحتمالهم . ولا
 لاختلاف المسلمين في أمرهم . بعد أن صار حوهم بالعداوة
 وأصبحوا لا ترحى لهم هداية . ولم يطلق تلك الاباحة اطلاقاً
 بل قيدها بنوع من المنافقين دون انواع اخرى اقتضى الامر
 تأجيل اباحة قتالهم - ثالثها - تحريم قتال المؤمن وقتله إلا أن
 يكون خطأ بأن يقتله في الحرب من يظن أنه كافر . فيجب

عليه الذية ولا يقتل به - رابعها - وجوب التثبيت في الحرب حتى لا يقتل من يسلم فيها مع من يصر على الكفر . ويقال له أنك أسلمت خوفا من السيف - خامسها - أنه لا يجوز القعود عن القتال الا لأولى الضرر - سادسها - وجوب الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام . ويستثنى من هذا المستضعفون من الرجال والنساء والوالدان - سابعها - جواز قصر الصلاة للمجاهدين ونحوهم من المسافرين - ثامنها - جواز الصلاة بكيفية أخرى غير التي تجب في الأمن من كفيات صلاة الخوف المعروفة

ثم ختم الكلام في أحكام القتال بمثل ما بدأه به من ترغيب المؤمنين فيه فقال « ولا تهنؤا في ابتغاء القوم ان تكونوا تألمون فأنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليا حكيما »

تحريم الخبايا

« ١ »

ذكر أنه يجب الحكم بين الناس بالحق لا فرق بين مسلم وغيره . وقد سرق طعمة بين أبقري درعا ورمى بها بريثا من

اليهود وشهد بذلك قوم طعمة زورا عند النبي . فقال الى تبرئته
لما كان يغاب على المسلمين في ذلك العهد من الصدق والامانة
وعلى اليهود من الكذب والخيانة . فعانبه الله على مجادته عن
هؤلاء الخائنين المنافقين الذين يستخفون من الناس ولا
يستخفون من الله . ويحاولون تبرئة المذنب بشهادة الزور
في الحياة . فمن يبرئه من ذنبه يوم القيامة أمام الله . وقد كان
الاولى لهم أن يتوبوا ويستغفروا الله لذنبهم بدل أن يرموا
به ذلك البرئ » ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا
فقد احتمل بهتاننا واثما مبينا « (٢٥)

ثم أخذ يمتن على النبي بعد أن نجاه من الجور في الحكم
الذي أراد أن يوقعه فيه أولئك المنافقون . ويبين له انه لا خير
في كثير من نجواهم لانهم لا يأترون فيها الا على الشر ولا
يتوون فيها على فعل الخير . فلا يأمرؤن بصدقة ولا معروف
ولا يصلحون بين الناس بل (١٥) يشاققون الرسول ويتبعون
سبيل المشركين . فيعبدون من دون الله أناثا كاللات والعزى

(١٥) أن طعمة لم يكذب بفتضح أمره حتى فر الى المشركين وارقد عن
الاسلام فكان هذا سببا فيما ذكره . هنا في قبح الشرك وفضل الاسلام

ويتخذون الشيطان وليا فيضلهم ويغنيهم أن لا بعث ولا حساب
ويأمرهم فيقةطعون آذان الانعام ليقدموها قربانا للأصنام
وليض الامر بأمانيتهم ان لا بعث ولا حساب . ولا بأمانى اهل
الكتاب الذين يزعمون انه ان يدخل الجنة الامن كان هوذا او
نصارى . بل من يعمل سوء يجز به في يوم الجزاء . ومن يعمل
صالحا ويؤمن بدين الله الصحيح يدخله الجنة . ويجازه على
كل خير عمله . ومن احسن ممن اسلم وجهه الى الله وهو محسن
واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا . والله ما فى
السموات وما فى الارض وكان الله بكل شىء محيطا .

بعض احكام النساء

ذكر فى اوائل هذه السورة احكاما فى يتامى النساء اللاتى
كانوا ينكحونهن طمعا فى اموالهن . وفى اليتامى الذين كانوا
يحرمونهن من الميراث . وفى الزوجات والعدل معهن عند
كراهتهن والرغبة فى تزوج غيرهن . وكانت تلك العادات
مستحكمة فى نفوس العرب فى جاهليتهم فسألوه تخفيفا فى
تلك الاحكام . وكان هذا منهم بعد مضى زمن نزل فيه ما نزل
من الاحكام التى ذكرت فى هذه السورة بعد تلك الاحكام التى

سألوه تخفيفها. فبين لهم أن الأول والثاني لا تغيّر فيهما. وأن الصالح بين المرأة والزوج عند خوفها من أعراضه وتزوجه بأخرى على أن تسقط حقهما في القسم وغيره وتبقى عنده خبر من التسريح والفرار وأن كان بأحسان. وإن العدل الكامل الذي يشمل الميل القلبي بين الزوجات غير مستطاع. وإنما الواجب العدل بينهن في الأمور الاختيارية من قسم وغيره. فإن لم ترض الزوجة بالتنازل عن حقه أو لم يمكن الزوج أن يستعمل العدل المستطاع معها فليتفرقا بمن الله كلا من سمته. لأن العدل أمره عظيم وصى الله به الذين أوتوا الكتاب كما وصاكم به. فإن لم تعدلوا ذهب الله بكم وأتى بمن يعدل غيركم فأياكم أن تمسكوا الزوجة مع ظلمها طمعا في مالها. فتواب الله خير من الدنيا وما فيها (من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا)

تحريم شهادة الزور

ذكر هنا أن القيام بالعدل واجب على الرعية كما ذكر فيما تقدم أنه واجب على الراعي. فحرم عليهم شهادة الزور. وحذرهم أن يحملهم عليها قربي أو خوف من غني أو رافة على

فقير (أن يكن غنيا أو فقيرا فإنه أولى بهما فلا تتبعوا الهوى
أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون
خبيرا)

احكام اصولية

ذكر منها هنا - الأيمان بالله - والأيمان بالرسول -
والأيمان بالكتب المنزلة - والأيمان بالملائكة - والأيمان
باليوم الآخر

ثم ذكر أن الناس من جهة الاعتقاد بها على قسمين أولهما
المنافقون الذين لا يؤمنون بها أيمانا يقينيا . ولا يثبتون على
حال من إيمان أو كفر . وقد ذكر من أحسوا لهم في ذنبتهم ما
شاء . ونهى المؤمنين عن الاختلاط بهم وموالاتهم وموالاته
من بوالونهم من الكافرين . ثم أشار إلى أنه لا يجب افشاء العيوب
ولا الجهر بالسوء وإنما افشى عيوب المنافقين لأن المصلحة في
افشائها ولكثرة بغيهم وظلمهم . ولهذا استثنى من ذلك
افشاء عيوب الظالمين فأجازها للمؤمنين (أن تبدوا خيرا أو
تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا)

القسم الثاني أهل كتاب وهم أما يهود يكفرون بالله

ويؤمنون ببعض الرسل والكتب دون بعض . فيكفرون
 بالنبي ويسألونه أن ينزل عليهم كتابا من السماء ليؤمنوا .
 وليس هذا منهم الا تمنّتا كالتعنّت الذي كانوا يأتونه مع موسى
 إذ يسألونه ان يرهبهم الله جهرة . وكتعنّتهم على عيسى وزمهم
 أنهم قتلوه وصلبوه . وقد حرم الله عليهم كثيرا من الطيبات
 عقابا لهم على هذا وعلى أخذهم الربا وأكلهم أموال الناس
 بالباطل وأند لهم عذابا مهينا . ثم ذكر ان العلماء الراسخين
 منهم يطمون أنه النبي المبشر به في كتبهم . وأنه يوحى إليه
 كما أوحى إلى نوح والنبیین من بعده . فأن لم يكفهم ذلك
 في الايمان به فيكفي أن الله وملائكته يشهدون به . وليس
 لمن يكفر بعد هذا الا عذاب جهنم وكان ذلك على الله يسيرا
 « يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا
 لكم وان تكفروا فأن لله ما في السموات والارض وكان الله
 علما حكما »

واما نصارى غلوا في دينهم وقالوا ان المسيح اله مع
 أنه ان يستنكف أن يكون عبد الله . وقد جاءهم القرآن
 بنور التوحيد فضلوا بعدم الاهتداء به (فأما الذين آمنوا

بألفه واعتصموا به فسيدهم في رحمة منه وفضل ويهد بهم
إليه صراطا مستقيما .

حكم الكلاله

الكلاله من الوارثين هم الخواشي الذين يدلون إلى الميت
بواسطة الوالدين . وقد بين في أحكام الارث السابقة نصيب
الكلاله اذا كانوا أخوة لام . واخر بيان نصيب الكلاله اذا
كانوا أخوة من العصب إلى هنا حتى استفتوا فيه . فأنتم
بهذه الآية التي ختمت بها هذه السورة وانتمت بها أحكامها
فقال (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله أن امرؤ هالك
ليس له ولد وله أخت فأبها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن
لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وأن كانوا أخوة
رجالاً ونساءً أفلاذكر مثل خط الاثنتين بين الله لكم أن تضلوا
والله كل شيء عليم)

سورة المائدة

سميت هذه السورة بهذا الاسم لانه قد ذكر فيها
حديث المائدة التي أنزلت من السماء على عيسى . وهو اهم شيء
يمكن ان يبرها عن غيرها . وقد نزلت هذه السورة بعد أن

نقض أهل الكتاب من يهود المدينة وغيرهم العهود التي
 كانت بين النبي وبينهم . فبعضهم حارب به كبنى قريظة وبنى
 قينقاع . وبعضهم تأمر علي قتله كبنى النضير . وبعضهم لم يرض
 بحكمه في حد الزنا وغيره وحاول أن يغشه . وكان لهم في حربهم
 وتأمرهم مساعدون من المنافقين يقولونهم ويقولون نخشى أن
 تصيبنا دائرة . فجاءت هذه السورة وفي أولها أمر المؤمنين
 بالوفاء بالعهود على اختلاف أشكالها . سواء أكانت بين الله
 والعباد أم بين العباد بعضهم مع بعض . ثم بينت أن نقض
 العود معروف في أهل الكتاب مع كل الأنبياء الذين بعثوا
 إليهم . ثم جاء فيها نهى النبي عن الحزن لنقضهم العهد الذي كان
 بينهم وبينه وانحياز فريق من المنافقين إليهم آثروا الكفر على
 الإيمان . ثم أمره أن ينقض العهد من جانبه كما نقضوه . وأن
 يبلغ ما أنزل إليه في ذلك ولا يخاف من قتالهم قاله يعصمه منهم
 فهذا هو المقصود بالذات من هذه السورة . وقد ذكر
 في أولها بعد أمر المؤمنين بالوفاء بالعهود أن الله أحل لهم بهيمة
 الأنعام على سبيل الامتنان ليكون هذا باعثا لهم على الوفاء بها
 وقد علموا أن بني إسرائيل لم يحرم عليهم من الطيبات ما حرم

عليهم الا لنقضهم المواثيق التي أخذت عليهم . وقد جر هذا
الى الكلام على احكام الاطعمة على سبيل الاستطراد . وعلى
قدر الغرض الذي ذكرت لاجله . ثم كانت احكامها في آخر
السورة حينما تم الكلام فيها على المقصود بالذات منها
ثم ختمت السورة بذكر احوال يوم القيامة وما يكون
فيه من جمع الرسل وسؤالهم عما أحدثه أتباعهم من بعدهم .
وجوابهم بأنهم لم يبلغوهم الا ما امروا به . فهم الذين غيروا
فيه وبدلوا بعد وفاتهم . وهنا لك يفوض الرسل امر عذابهم
والعفو عنهم الى ربهم فيجيبهم الله بان هذا يوم الصدق
والوفاء بالمعهد . ويمود اذا السياق الى ما كان عليه قبل الكلام
على تلك الاحكام . ويتناسب البدء والختام
وبهذا كله ينحصر الكلام في هذه السورة في ثلاثة
مقاصد وخاتمة

المقصد الثاني

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أخذت لكم بهيمة الانعام
الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد
الايات الى قوله تعالى

يأبها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم اذ
 يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله
 وعلى الله فليتوكل المؤمنون

« ١ »

أمرهم بالوفاء بالعقود شكراً لله على ما أحل لهم من بهيمة
 الانعام الا في حالين . أولهما سيأتي . والثاني ان يكونوا
 محرمين فلا يحل لهم الصيد كما لا يحل لهم أن يحلوا شوائر
 الحرم ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام . فاذا
 حلوا جاز لهم الصيد . ثم فصل ما حرم عليهم في الحال الاول
 من الميتة والدم وغيرها . وذكرا أنه أحل لهم الطيبات وطعام
 اهل الكتاب كما أحل لهم نساءم اذا آتوهن أجورهن (محصنين
 غير مسالخين ولا متخذى أخذان) الآية

٢

ثم أمرهم أن يتطهروا قبل أن يقوموا الى الصلاة فاذا
 قاموا اليها ذكروا تلك المواثيق والعقود التي أخذت عليهم .
 فهو هنا يأمرهم بذكرها في كل صلاة لئلا ينسوها بعد أن
 أمرهم هناك بالوفاء بها مطلقا . ويشير الى ان هذا هو

المقصود من فرض الصلاة على العباد
 ثم امرهم ان يكونوا قواء يزقه بالقسط وان يكون
 رائدهم العدل في معاملتهم مع العباد . ويريد بهذا ارشادهم
 الى امر جامع فيما امروا به من الوفاء بالعهود . وان ذلك
 يكون بالقيام بحق العبودية وبالاستعمال العدل مع
 الاصدقاء والاعداء

ثم تخلص الى ذكر ما كان من اليهود وغيرهم من نقض
 عهود المسلمين وان الله كف اذاهم عنهم بفضل محافظتهم
 عليه . و امرهم ان يشكروا الله على ذلك وان يتوكلوا
 عليه ليحفظهم منهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)

المقصد الثاني

(ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
 وقال الله اني معكم) الآية

الآيات الى قوله تعالى

والذين كفروا وكذبوا باياتنا اوائك اصحاب الجحيم

لما تخلص فيما تقدم الى ذكر نقض اليهود لما كان بينهم
 وبين المسلمين من عهود . وكان هذا هو السبب في نزول هذه

للسورة. انتقل الى سياق طويل ينحصر ما جاء فيه في اربعة امور

اولها

في بيان ان العصيان ونقض العهد معروف في اهل الكتاب من قديم الزمان . وقد ذكر في اثبات ذلك وقائع اولها انه اخذ الميثاق على بنى اسرائيل ان يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بالله ورسوله . وبعث منهم اثني عشر كفيلاً بالوفاء بذلك العهد . ومع هذا نقضوه ونسوا كثيراً انزل الله اليهم نازيها ان النصارى اخذ عليهم مثل ذلك العهد فنقضوه ونسوا كثيراً مما انزل الله اليهم ايضاً . وقد ارسل الله اليهم رسولا يبين لهم كثيراً مما يخفونه من كتبهم . ويرد على النصارى قولهم ان الله هو المسيح ابن مريم . وعلى اليهود والنصارى قولهم نحن ابناء الله واحباؤه . ويبين لهم الدين الصحيح بعد انقطاع الرسل عنهم لتلايكون لهم عذر في بقائهم على ما حدثوه بعد انبيائهم نازيها ان الله وعدهم ان يعطيهم الارض المقدسة واخذ على نفسه بذلك ميثاقاً مع ابيهم ابراهيم . ثم بعث اليهم موسى لياخذ لهم تلك الارض من الكنهانيين الذين كانوا

بها. فأبوا أن يسيروا معه لقتالهم. ونسوا أن الله عهد بها اليهم
 رابعها أن الله حرم قتل النفس والفساد في الارض من
 يوم أن قتل قاييل هايبيل. واخذ على بني اسرائيل الميثاق بذلك
 فنقضوه وأسرفوا في القتل والفساد في الارض وحاربوا الله
 ورسوله. وهؤلاء جزاؤهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع
 ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض. ثم حذر
 للمؤمنين من الوقوع في هذا الفساد وأمرهم بتقوى الله .
 وأن يعاقبوا على السرقة وهي نوع من ذلك الفساد بقطع
 الايدي . وبين لهم أن من تاب يتوب الله عليه وينجيهِ من
 العذاب برحمته وقدرته (الم تعلم أن الله له ملك السموات
 والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل
 شيء قدير)
 ثانيها

في تسلية النبي على مسارعهم في الكفر بعد تقضيم ما
 كان بينه وبينهم من عهد . وبيان أنهم كانوا يريدون من النبي
 أن يوافقهم على ما حرفوه من كتبهم وأن يحكم بينهم على وفق
 أهوائهم ولو كان على خلاف ما أنزل عليهم في شرائعهم . فقد
 نهاكوا إليه في زانين ايحكم عليهما بغير الرجم الذي أنزل

عليهم في التوراة . وفي حكم الدية وتفضيهاهم بنى المنصير
على بنى قريظة ليحكم لهم بخلاف ما كتب عليهم فيها من أن
النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن
بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص . وقد جاء الانجيل
بعد التوراة مصدقا لاحكامها . وجاء القرآن بعدها مهيمنا
عليها بحكم بتحريف ما حرفوه منها وبأمرهم بالعمل بما
بقي على أصله من حكم الرجم والدية وغيره . ولكنهم يعرضون
عن ذلك ويبغون حكم الجاهلية المبني على الهوى ومعاملة
القوى بخلاف معاملة الضعيف (أحكام الجاهلية يبغون ومن
أحسن من الله حكما لقوم يوقنون)

ثالثها

في بيان أن من ينقض عهده مع النبي يجب على المسلمين
أن ينقضوا عهودهم معه . فإنه لما حاربت اليهود رسول
الله تشبث بحلفهم المنافقون وقالوا نخشى أن تصيبنا دائرة
وأن تدول الدولة لهم فننتفع بحلفهم . فسمى الله أن يفتح علي
المسلمين ليخيب رجأؤهم ويندموا علي تشبثهم بهم وتجبط
أعمالهم فيصيحوا خاسرين . ومن يتولى الله ورسوله فهم

الغالبون . ثم ذكر من قبائح اليهود ما لا يصح معه للمسلمين
 ان يتخذوا منهم حلفاء أو اولياء . فن ذلك أنهم يتخذون
 دينهم هزوا ولعبا وينقمون منهم أنهم آمنوا بالله وما انزل
 اليهم والى من قبلهم . وينسون اعمالهم السيئة التي استحقوا
 بها غضب الله . ومن ذلك أن منهم منافقون يظهرون
 الايمان ويتجسسون لقومهم . ومنهم كثير يسارعون في الاثم
 والمدوان ويأكلون السحت ولا ينهاهم عن ذلك ربانيوهم
 وأخبارهم النخ الخ ولو انهم تركوا تلك القبائح لغفرناها لهم
 نعم أن منهم من تركها ولكنه قليل بجانب المصر عليها (منهم
 أمه مقصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)

رابعها

في أمر النبي بنقض عهدهم كما نقضوه وتبليغ ما أمر به
 في ذلك . والله يعصمه منهم وينصره في حربهم . وقد أمره
 ان يخبرهم بأنهم ليسوا على شيء من العهد الذي كان بينه
 وبينهم . وانه لا يقبل منهم بعد هذا الا أن يقيموا التوراة
 والانجيل ويؤمنوا بالقرآن الذي أنزل اليهم والى غيرهم ولا
 يفرقوا بين الثلاثة فيؤمنوا بيمض ويكفروا بيمض . فأن

فلما ذلك فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ثم ذكر دليلين
على عدم اقامتهم للتوراة والانجيل اولهما أن بنى اسرائيل
قد اخذ عليهم الميثاق أن يؤمنوا بكل رسول يأتيهم من
ربهم ولكنهم كانوا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم
يكذبونه أو يقتلونه . فجازاهم الله على ذلك بالقتل والتخريب
وغير ذلك من الفتن والشدائد كتسليط الامم عليهم مرة بعد
أخرى . أما النصارى فكفروا وقالوا أن الله هو المسيح بن
مريم وثالث ثلاثة (الأب والابن وروح القدس)
فكلم من الفريقين قد غلا في دينه واتبع أهواء قوم
قد ضلوا وهم رؤساءهم الذين اتخذوهم أربابا يشرعون لهم
ما لم يأذن به الله . فحق عليهم بذلك لعنة داود وعيسى وبما
عصوا وكانوا يمتدون

الثاني أنهم يتولون مشركى العرب ويمادون المؤمنين
الذين هم أقرب اليهم منهم . ولو كانوا يؤمنون بالله ويقيمون
التوراة والانجيل ما اتخذوهم أولياء واتخذوا المؤمنين اعداء .
نعم أن النصارى لا يمادونهم كاليهود . فهم أقرب اليهم مودة
منهم ومنهم قسيسون ورهبان اذا سمعوا ما أنزل الى الرسول

فاضنت اعينهم من الدمع. وقالوا ربنا آمننا فكتبنا مع الشاهدين
فأثابهم الله على ذلك ثواب المحسنين (والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا أولئك اصحاب الجحيم)

المقصد الثالث

بأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا
تعبدوا أن الله لا يحب المعتدين
الآيات الى قوله تعالى

ذلك ادنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن
ترد إيمان بعد إيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي
القوم الفاسقين (١)

كل في هذا المقصد أحكام الاطعمة والصيد وذكر في
ذيلها حكماً آخر نزل معها فقرن بها وهو حكم الشهادة في
الوصية . وقد ذكر في أول السورة أنه أحل لهم الطيبات
فنهاهم هنا أن يحرموا شيئاً منها على أنفسهم . وذلك قد
يكون من غير التزام يمين وقد يكون به فيكون لغوا لا
يؤاخذ الله في تركه والتكفير عنه . ولكن يؤاخذ في الإقامة
عليه وتحريم الحلال به . ثم ذكر ما حرمه من الاطعمة وهو

الخنزير في ضمن محرّمات اخرى من نوعه . ونفى الاثم عن الذين
 شربوها فيما مضى فقال (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم
 اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين)

(٢)

ثم ذكر تحريم الصيد في حال الاحرام وقد ذكره فيما
 مضى تمهيد البيان حكم من يقتله متمدا وهو وجوب مثل ما
 قتل النعم هديا بالغ الكعبة . وبيان ان المحرم هو صيد
 البر لا صيد البحر . ثم ذكر ان الهدى انما وجب الى الكعبة
 لان الله انما اوجب الحج اليه في الشهر الحرام ليحصل لاهلها
 ما يقوم بعماسهم . قضى بذلك علم الله بنظام خلقه في ارضه وسماواته
 وعظيم رأفته بعباده . فليحذر من يخالف ذلك بترويع
 حجاج بيته ومخالفة احكام نسكه من شديد عقابه . وما
 على الرسول الا البلاغ . والله يعلم كل الاعمال ظاهرها
 وخفيها . ولا يستوى عنده الخبيث والطيب منها

ثم اشار الى ان الحج انما يجب في العمر مرة وفي هذا
 كفاية لاهل ذلك البيت . وقد سأل قوم النبي حين وجب الحج

عليهم أكل حرام يا رسول الله فسكت حتى قالوا ثلاثاً ثم قال
لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم . فلا تسألوا عن أشياء أن
تبدلكنم تسؤلكم

ثم ابطل هدايا الاصنام من البحيرة والسائبة وغيرها
من بدع اهل الشرك الذين يفترون على الله الكذب وأذا قال
لهم المؤمنون تعالوا الى ما أنزل الله عرضوا وقالوا حسبنا
ما وجدنا عليه آباءنا (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم
من عدل اذا هتديتم الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما
كنتم تعملون) (٣)

ثم ذكر حكم الشهادة على الوصية وأنه يكفي فيها اثنان
من المسلمين . فإن كان الموصى مسافراً ولم يجد مسلماً أشهد
اثنين من غيرهم . ثم أكد في الشهادة على الوصية بما أكد به
ليأتوا بها على وجهها (او يخافوا أن ترد إيمان بعد إيمانهم
واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين)

الخاتمة

يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أحببتم قالوا لا علم لنا
أنك انت علام الغيوب

الآيات الى آخر السورة

ذكر سؤال الرسل وجوابهم بالأجمال . ثم بين بالتفصيل
سؤال واحد منهم وهو عيسى وجوابه عنه . فذكره بنعمته
عليه إذ أيده بمعجزات كثيرة . وأذ سأله الحواريون أن
ينزل عليهم مائدة من السماء فأنزلهما عليهم . ثم سأله أنت
قلت بعد هذا للناس اتخذوني وأبي الهين من دون الله . فتبرأ
من هذا وقال ما قامت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله
ربي وربكم فكذبوا على بعد ان توفيتني . فان تعذبهم على هذا
فهم عبادك . وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم . فقال
الله هذا يوم لا ينفع فيه الا الصدق والوفاء بالعهده . فيجازي
عليها بما لا يقدر عليه غير الله تعالى (لله ملك السموات
والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير)

سورة الانعام

سميت هذه السورة بذلك لانه فصل فيها حكم الانعام
من الأبل والبقر والضأن والمز تفصيلا لم يشاركها فيه
غيرها . وقد نزلت في محاجة المشركين فأخرجت عن السور

الاربع السابقة التي كانت المحاجة فيها مع أهل الكتاب وامرهم
 اهم من امر المشركين . ولما كان المشركون عبدة اصنام وكان
 الجدل معهم في اثبات التوحيد والنبوة ذكر في اولها ان
 الذي يستحق الحمد هو الله دون اصنامهم . وأيد ذلك بما
 ايده به ليكون هذا بمثابة إعلان عن المقصود منها من اول الامر
 والسورة كلها سياق واحد في اثبات هذين الامرين
 ومحاجة المشركين فيها حتى قال بعضهم انها كلها نزلت
 دفعة واحدة . ولكننا بعد البحث وجدنا انها تنقسم إلى قسمين .
 أولهما في اثبات هذين الامرين . وثانيهما في ابطال احكام فرعية
 ابتدعوها حين تركوا التوحيد ونسوا ملة ابراهيم . واثبات
 احكام سواها تلتزم معها . وأن لها مقدمة في اثبات هذين
 الامرين قبل البدء في محاجتهم فيها . وخاتمة في ترغيبهم
 في ذلك الدين ببيان أن الفرض منه رفع شأنهم أدبيا
 وماديا . فالاول باعطائهم كتابا كطائفتي اليهود والنصارى
 يرجع بهم إلى الخيفية السمحة ملة ابراهيم . والثاني بجماعهم
 خلافت الارض واعطائهم ملك الامم التي صارت غير صالحة
 لخلافة الله فيها . فهذه اربعة اقسام مقدمة ومقصدان وخاتمة

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
الآيات الى قوله تعالى
ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال
الذين كفروا أن هذا الاسحر مبين

استدل علي الوحداية وتفرد الله بالحمد بخالق السموات
والارض والظلمات والنور . ثم بخلق الانسان من طين
وطمه بما في السموات والارض وبما يعمله الانسان في السر
والجهر وما يكسبه من خير أو شر
ثم اثبت النبوة بما أنزله من الآيات التي كذبوا بها
استكبارا وعنادا ولم يخافوا ان يهلكوا كما اهلك من قبلهم
من الامم الذين كذبوا انبياءهم . بل لجوا في عنادهم حتى لو
نزل عليهم كتاب في قرطاس فلمسوه بأيديهم (اقال الذين
كفروا أن هذا الاسحر مبين)

المقصد الاول

وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى
 الامر ثم لا ينظرون الآيات الى قوله تعالى
 أن ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
 (١)

بدور السياق في هذا المقصد على محاجة المشركين في
 هذين الامرين . فيذكر ما يقولونه ترويحاً لشركهم ويرد عليه
 ثم يذكر غيره ويرد عليه وهكذا
 فاول ما قالوه انهم اقترحوا أن ينزل عليه ملك برونه ويؤيده
 فيما جاء به من التوحيد والنبوة . وقد أجابهم عن هذا بجوابين
 اولهما أنه لو أنزل عليهم ملك ولم يؤمنوا لا هلكوا من غير
 تأخير . وقد اراد الله لهم خلاف ذلك وعلم أنهم سيؤمنون
 بعد طول العناد ويكون من شأنهم في الارض ما يكون .
 وثانيهما أنه لو أنزل ملك لكان في صورة البشرية ليتمكن رؤيته
 وسماع كلامه . وحينئذ لا يفهمون الا أنه بشر ويعودون
 الى اقتراح ما اقترحوه . ثم ايد ما قاله من انهم اذا لم يؤمنوا
 بهد نزول الملك يهلكوا بما جرت به سنة الله مع الامم

السالفة الذين أهلكتهم الله بعد نزول الآيات التي اقترحوها
على أنبيائهم ولم يؤمنوا بها (قل سيروا في الأرض ثم
انظروا كيف كان عاقبة الكاذبين «٢»

ثم اخذ بعد أن ذكر أنه لا سبيل إلى ما اقترحوه يبين
اهم الآيات الكونية على التوحيد مما يغنى النظر فيه عن تلك
الآيات التي اقترحوها. فذكر أن ما في السموات والأرض
وما سكن في الليل والنهار لا يمكن أن يكون لغير الله من
أصنامهم وكذلك خالق السموات والأرض وأطعام من فيها
من خلقه. ثم ذكر أنه بعد هذا لا يمكن أن يشرك مثلام
لأنه مأمور بالاسلام ويخاف أن عصي ربه من عذاب لا
كاشف له غيره (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)

« ٣ »

ثم أخذ يثبت النبوة بعد التوحيد بشهادة الله الذي
انزل عليه القرآن معجزة له لينذرهم به ويبطل ما اتخذوه
مع الله من آلهة غيره وبشهادة أهل الكتاب الذين يعرفونه
كما يعرفون أبناءهم. ولكن المشركين خسروا أنفسهم فهم
لا يؤمنون ويفترون على الله الكذب من الولد والشريك

ويكذبون بآياته التي أنزلها على نبيه . فويل لهم من يوم يتبرؤون
فيه من شركائهم . ولا يجحدون فيه غير الله أممهم (انظار
كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون)

« ٤ »

ثم بين السبب في عدم تأثير ذلك الكتاب فيهم وهو أنهم
لا يفقهونه ولا تقوي آذانهم على سماعه فينهبون للناس عنه
ويبتعدون عنه ويهلكون انفسهم بهذا وما يشعرون . فسiron
من العذاب ما يندمون معه على تكذيبهم له وتضييعهم الحياة
في اللذات والشهوات (وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار
الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون

« ٥ »

ثم أخذ يسلي النبي على تكذيبهم له ويعده بالتضر الذي
كان لرسله حين كذبوا فصبروا . ويبين له أنه لا سبيل الى
الآيات التي يقترحونها لانه علم أنهم لا يستجيبون اليها
(انما يستجيب الذين يسمعون والموتى بهم ثم الله ثم اليه يرجعون

اقترح آية ثانية « ١ »

ثم ذكر أنهم اقترحوا آية ثانية أن ينزل عليهم آية عذاب

كأنى انزلت على عاد وغيرهم . وهذا بعد ان علموا بما سبق
 أنه لا ينزل عليهم ملكا لانه لا يريد هلاكهم . فأطمعهم ذلك
 في هذا الطلب الذى علموا أنهم لا يجابون لليه وقد رد عليهم
 بأن الله قادر على تلك الآيه وأن لم يرد أن يستأصلهم . وأن
 عنده من الخلق فى الارض والهواء والسماء أمم كثيرة لا يذكر
 فى كثرتها عددهم . ولا يؤثر فيها هلاكهم . ولكنهم لا يعقلون
 هذا لانهم كما قال (صم وبكم فى الظلمات من يشأ الله يضلله
 ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم)

«٢»

ثم ذكر اجوبة أخرى على ذلك أولها أن العذاب الذى
 يطلبونه إذا جاءهم فمن يدعون لكشفه غير الله . وإذا كان
 هذا كذلك فلم لا يؤمنون به من غير أن يطلبوا ذلك الطلب
 الذى يضر بهم . على ان ائمة قديمة طلبت ما يطلبونه فلما أتاهم
 كذبوا به وقست قلوبهم فقطع الله دابرهم الخ الخ
 ثانيها أنه لم يقل لهم أنه عنده خزائن الله ولا أنه ملك
 حتى يفترحوا عليه تلك الاقتراحات . وما هو الا رسول
 أتاهم بكتاب من الله لينذرهم به الخ الخ

ثالثها أنهم ليس لهم فيما يعبدون من دون الله بينة عليه بل أهواء لا يصح الارتكان عليها. ولا طالب آيات لآياتها من نفوسهم. أما هو فهو علي بنية من ربه وليس عنده العذاب الذي يستمجلون به ولو كانت عنده لقضى الأمر بينه وبينهم بأهلاكمهم. لأن الله يعلم أنهم لا يؤمنون ولو جاءهم ذلك العذاب. وليس بغريب أن يعلم ذلك وعنده مفتح الغيب لا يعلمها غيره الخ الخ

رابعها أن العذاب الذي يطلبونه سيئاتهم من فوقهم ومن تحت أرجلهم حين يقضى الله بنصر المؤمنين عليهم وسيأتي وقت ذلك القدر. ولكل نبي مستقر. فأن كذبوا بهذا وخاضوا في آياتنا بالباطل فأعرض عنهم الخ الخ

خامسها أن تعنتهم عليه بتلك الآيات لا يمكن أن يردده عن عقبه بعد أن هداه الله فيعبد من اصنامهم ما لا ينفع ولا يضر. وأن له بأبيهم إبراهيم أسوة إذ وقف مع قوميه هذا الموقف بعد أن هداه الله إليه. وحاجوه كما حاجونه فقال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا اخاف ما تشركون به. فرفع الله درجته وبارك في ذريته وجعل منهم الانبياء

والصالحين . وهداهم الى ذلك الدين الذي يدعوهم اليه ولا
يسألهم اجرا عليه (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل
لا أسألكم عليه اجرا أن هو الا ذكرى للعالمين)

افتراء ثالث

ثم ذكر انهم انكروا رسالة اولئك الانبياء حينما احتج
بهم عليهم . وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء . فرد عليهم
بأنه اذا صح ذلك فمن انزل التوراة على موسى وانتم لا تنكرون
ان الله انزلها عليه . بدليل رجوعكم الى اليهود في امرى
واعترافكم بأنهم أهل الكتاب العالمون بأخبار الانبياء . فما
أحراكم أن تؤمنوا بي وقد بعثت لاعدائكم ما لم تعلموا أنتم ولا
آباؤكم . وجئتكم بكتاب مصدق للتوراة التي تستفتون اليهود
فيها . واعلموا أيها المشركون انه لا يوجد اظلم ممن يفترى على
الله هذا الافتراء . فمن ينكر وحى الانبياء كمن بدعي الوحي
كذبا وكن يكذب بما انزل الله . ويزعم ان في آياته ان ينزل
مثله كلهم في الظلم سواء . ولو يرى الظالمون ما أعد لهم من
عذاب الهون في يوم لا يجحدون فيه شفيما من الشركاء الذين
اتخذوهم من دون الله لتركوا هذا العناد وما افتروا هذا

الافتراء . وكيف يكون لله شفيع أو شريك وهو فائق الحب
والنوى . ومخرج الحى من الميت والميت من الحى النخ النخ .
وقد انتهى فى هذا الى تذكير النبى بأن اشراكهم بمشيئة
الله ليهون الامر عليه . والى نهى المسلمين عن أن يسبوا
أهلهم (فیسبوا الله عدوا بغير علم كذاك زينا لكل أمة
عمالهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون)

عود الى اقتراح الآيات

ولما تبين لهم أن تعنتهم ظاهر فى الانكار على جميع
الانبياء عادوا الى ما كانوا عليه من الانكار على نبيهم وحده .
والى اقتراح الآيات عليه ليجدوا من عدم أجابتهم اليها ما
يخفى شيئا من تعنتهم . واجتهدوا هذه المرة فى أن لا يظهروا
بمظهر المتعنت فأقسموا بالله جهداً أيمانهم لئن جاءتهم آية
ليؤمنن بها . وقد اغتر بعض المسلمين بهذا فتمنى أن يجيبهم
الى ما يطلبون . فرد عليهم بأنت الله يعلم مع هذا أنه اذا
أجابهم لا يؤمنون . وما كانوا يؤمنوا إلا ان يشاء الله ولو
أجيبوا الى أكثر مما يطلبون فأنزلت اليهم الملائكة وكلمهم
الموتى وحشر عليهم كل شئ قبلاً . وأنت تلك عادة الجاحدين

فدينا وحدثنا. يوحى بعضهم ألى بعض زخرف القول ليؤثروا
 به على ضعاف الايمان . أما المؤمنون حقا فيعلمون أنه لا
 فائدة فى اظهار الآيات بعد أن حكم الله بين النبي وبينهم .
 وأبده بالقرآن الذى يعلم أهل الكتاب أنه الحق من ربهم .
 وليس لهؤلاء الجاحدين بعد هذا الاتخربات وظنون
 كتلك الاقتراآت والاقتراحات التى لا سبيل الى أجابتهم
 اليها . فيجب الرضا بما قضى الله فيها وأن لا يطيع النبي فيها
 أحدا (ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم
 بالمتدين)

المقصد الثاني

فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مؤمنين
 الآيات الى قوله تعالى

ولا تقربوا مال اليتيم الا بالى هى احسن حتى يبلغ

اشده - الآية (١)

كان اهل الجاهلية يحملون الميتة ويقولون ما قتله الله

أولى بالحل مما قتله الانسان . فأبطل الله هذا واحل ما ذكر
 اسم الله عليه وهو الذبوح . وحرّم ما لم يذكر اسم الله عليه

وهو الميئة . ونهى المسلمين عن الاستماع لهذا القول الفاسد
الذى يجادلهم به المشركون وهم في ظلام دامس من ضلالهم
الذى يزين لهم ما يعملون . ويحسن لهم أن يكرروا بمثل هذا
ايخذعوا المسلمين . كما يكررون اذا جاءتهم آية فيقولون ان
نؤمن حتى ينزل علينا الوحي كما انزل على رسل الله . وهكذا
من يرد الله هدايته يشرح صدره للاسلام . ومن يرد ضلاله
يجعله يكر ويجرى وراء الشبه والضلالات . فيضيق صدره
ويكون كأنما يصعد في السماء . وكذلك يجعل الله الرجس
على الذين لا يؤمنون . ويهدى من يتذكر اذا ذكر الى
صراطه المستقيم . ويجعل لهم دار السلام جزاء بما كانوا يعملون
أما أعداؤهم من الجن والانس فيما قبهم في دار الجحيم . كما
يما قبهم في الدنيا فيذهبهم ويستخلف من بعدهم قوما آخرين
(قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من
تكون له عاقبة الدار انه لا يفتح الظالمون)

(٢)

والثانى مما ابطله الله من أحكامهم أفرأهم من حرورهم
وانعامهم نصيبا لله ونصيبا لاصنامهم . فاذا زاد نصيب

الاصنام ولم يزد نصيب الله تركوا نصيبها لها وقالوا لو شاء
لذكى نصيب نفسه . وأن زاد نصيبه ولم يزد نصيبها قالوا لا
بدلها من نفقة فأخذوا من نصيبه واعطوا لسدنتها

والثالث قتلهم أولادهم خوفا من الفقر - والرابع -
قسمتهم الانعام والحروث الى محجورة للآلهة لا يطعمها
الاسدنتها . والى انعام حرمت ظهورها وهي البحائر
والسوائب والحوامى . والى انعام لا يذكرون اسم الله عليها
عند ذبحها بل يذكرون اصنامهم

والخامس تحريمهم ما فى بطون هذه الانعام على زوجاتهم
أن نزل حيا . فأن نزل ميتا اشترك فيه الذكور والاناث
فكل هذه امور باطلة ابتدعتها أهل الجاهلية (افتراء

على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين) (٣)

ثم ذكر أنه هو الذى انشأ الحروث وأباحها للناس
بشرط أن يخرجوا منها حق الله للفقراء عند حصادها . وأنه
هو الذى خلق الانعام وأباحها للناس إلا أن تكون ميتة
او دما مسفوحا أو فسقا أهل به لغير الله . وأنه انما حرم
على اليهود ما حرم منها جزاء بغيرهم . فأن بغير هؤلاء وكذبوا

ما جاء به النبي من تلك الاحكام (فقل ربكم ذو رحمة واسعة
ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين

(٤)

ثم ذكر أنهم وقد ظهر افتراءؤهم على الله في تحريم ما
حرموه سيقولون لو شاء الله ما أشركنا ولا حرمنا تلك
الاشياء . فهذا التحريم اذا منه وبأرادته ونحن مجبورون
عليه . ورد عليهم بان هذا القول ليس عندهم به علم ولا
دليل . ولا يفيد ان الله حرم تلك الاشياء وإنما يفيد ان يأتوا
بمن يشهد ان الله حرمها . وأنى لهم بمن يشهد لهم بذلك . لان
الله لم يحرم علينا مثل هذا وإنما حرم الشرك وقتل الاولاد الخ
ووصانا بذلك فقال (وبعهد الله اوفوا ذلکم وصاکم به لعلکم
تذکرون) الخاتمة

وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله ذلکم وصاکم به لعلکم تتقون
الآيات الى آخر السورة

لما فرغ من بيان الاصول الدينية والفروع التي تقدمت

ذكر لهم ان هذا هو الصراط المستقيم الذي يجب عليهم اتباعه .
ثم اخبرهم ان الله انزل التوراة على موسى فيها تفصيل كل شئ
وانزل عليهم القرآن ليقطع عذرهم في الاستمرار على شركهم
ولئلا يقولوا يوم القيامة انا لم ينزل علينا كتاب بل انما
انزل على طائفتين من قبلنا بلغتهما فلم يمكننا درسه . فالذين
يكذبون بذلك القرآن بعد هذا يكونون اظلم خلق الله ولا
ينتظر ان يصدقوا بشئ بعده الا ان تأتيهم الملائكة او
هذاب الله يوم القيامة فلا ينفهم ايمانهم ولا ينجيهم من عذابهم
بل يحاسبون على ما قدموه حسابا تكافأ فيه الحسنه بعشر
امثالها (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون)

« ٢ »

ثم ذكر لهم ان هذا الصراط المستقيم هو دين ابيهم
ابراهيم دين التوحيد والخلص للعبادة لله الذي لا اله غيره
ولا تزر عنده ازره وزر اخرى بل يحشرهم ويجازي كل
واحد على عمله . وان الله لم يخترهم لهذا الدين الا ليجعلهم
خلائف الارض دون سائر الامم . فان آمنوا به كانت لهم
تلك الخلافة في الارض . وغفر لهم ما قدموه من شرك .

وان لم يؤمنوا عاجلهم الله بالعقاب واستخلف قوما آخرين
وهذا هو الابتلاء في قوله تعالى (ليبسلوكم الله فيما آتاكم ان
ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم)

سورة الاعراف

سميت هذه السورة بذلك لان حديث الاعراف الذي
ذكر فيها هو ما يمكن أن تمتاز به عن غيرها . ويقصد منها
ما يقصد بسورة الانعام من دعوة المشركين الى الايمان
الا أن سورة الانعام عني فيها غالباً بأخذهم بالحجة والبرهان .
وهذه عني فيها غالباً بأخذهم بالترغيب والترهيب . فلهدا
جاء معظمها في ذكر يوم القيامة وما أعد فيه للطائعين والعاصين .
وفي حكاية أخبار الاولين مع أنبيائهم وما ابتلاهم الله من آيات
العذاب جزاء عصيانهم . ولما كان الاقتناع بالبرهان مقدماً
على الاقتناع بالترغيب والترهيب أخرت السورة التي عني فيها
بالامر الثاني عن التي عني فيها بالامر الاول وأيضاً فهذه
السورة قد فصل فيها ما أُجمل في أول سورة الانعام من
أخبار القرون الاولى التي أهلكتها الله على تكذيبها برسالتها .
ومرتبة التفصيل بعد الأجمال . والسورة كلها سياق واحد في

ذلك الغرض الا أنه يمكن تقسيمها الى ثلاثة اقسام . اولها
 في تحذير جم اجالا مما حصل للامم السابقة التي عصت
 انبياءها من عذاب الدنيا والاخرة . وترغيبهم في الايمان
 بما ذكره من وسائل الترغيب . وثانيها في تفصيل ما حصل
 لتلك الامم مع انبيائها امة امة . وثالثها في أن ما حصل لتلك
 الامم سيحصل مثله لهؤلاء المشركين وانما على الله لهم
 ويستدرجهم من حيث لا يعلمون

القسم الاول

المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج

منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين)

الآيات الى قوله تعالى

والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا

يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون

لما كانت هذه السورة لا تشتمل الا على وجوه من

التحذير والترغيب ابتداءها بما يشير الى هذا الغرض من

اول الامر كبراعة مطلع لها فذكر أنه انزل الكتاب للتحذير

والتدبير. ونهي النبي أن يضيق صدره بذلك الامر الهين عليه.
ثم أمرهم باتباع ما أنزل اليهم وذكر من التحذير والترغيب
وجوها أولها أن الله جرت سنته فيمن لا يجيب دعوة الانبياء
أن يهلكهم بيأسه في الدنيا ثم يحشرهم اليه فيسألهم سؤال
عارف بما فعلوه مع أنبياءهم. ويجازيهم بالقسط المستقيم
على كل صغيرة وكبيرة منه

ثانيها ان الله مكن لهم في الارض وجعل لهم فيها
ما يعيشون به وهذا يوجب عليهم أن يشكروه على ذلك
باتباع رسوله

ثالثها ان الله أكرمهم بأن جعلهم من نسل آدم وهو
أكرم خلق الله عليه. ثم حكى من سجود الملائكة له ومن
طرد ابليس من جنته بسبب امتناعه منه ومن احتياله في
إخراجه منها كما أخرج بسببه ما يؤيد عظم منزلته عند ربه
رابعها ان الله جعل لهم لباساً يوارون به سواهم ولباساً
يتزينون به بعد أن أخرج أبام آدم من الجنة لا يجد ما يستر به
عورته الا ورق الشجر وهذا أيضاً يوجب عليهم طاعته
بطاعة رسوله

خامسها ان الله اخرج آدم من الجنة بفتنة الشيطان مع
 ماله من المنزلة عنده فمن يهوس رسوله ويتبع الشيطان في
 زين العصيان والفواحش له مثل ان الآباء كانوا يعملونها
 وان الله امر بها مع ان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر
 بالقسط يطرد من رحمة الله وتحق عليه كلمة العذاب

سادسها ان الله أحل لهم أن يأخذوا زينتهم عند المسجد
 الحرام وأن يأكلوا ويشربوا ما يشاؤون بلا إسراف. وكانوا
 يطوفون بالبيت عراة ولا يأكلون من الطعام الا قوتاً ولا
 يأكلون دسماً. ولم يحرم عليهم الا الفواحش ما ظهر منها وما بطن
 ومثل هذا لا يصح أن يقابل من عاقل بالآباء والرفض

سابعها ان الله جعل لكل أمة أجلاً لا تتقدم عنه ولا تتأخر
 ثم يحجمهم بعده اليه فمن اتقى فلا خوف عليه. ومن كذب فله
 من العذاب ما بالغ في وصفه وتفني في ذكر حالاته وأظن
 ما شاء أن يطنب الي أن ذكر أنهم حينما يرونه يقولون قد جاءت
 رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل
 غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
 من الأصنام فلم تنفعهم في ذلك الوقت الذي كانوا يدخرونها له

ثم ذكر من صفات الله بمناسبة ذكر أصنامهم وخبية
 رجائهم فيها ما يقطع معه بأنها لا قيمة لها . فبين أنه هو الذي
 خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم فلا يجوز
 أن يدعى غيره معه . بل الواجب أن يدعى وحده تضرعاً وخفية .
 وهو الذي يرسل الرياح والسحاب لتسقي به البلاد وتخرج
 الثمرات (والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث
 لا يخرج الا نكداً كذلك تصرف الآيات لغوم يشكرون)

القسم الثاني

« لقد أرسلنا نوحاً الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ... »

الآيات الى قوله تعالى

من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون

ذكر من أخبار الاولين قصة نوح مع قومه وكيف

غرقهم الله بتكذيبهم له . وقصة هود مع عاد وكيف قطع

الله دابرهم بتكذيبهم له . وقصة صالح مع ثمود وكيف أخذتهم

الرجفة بتكذيبهم له . وقصة لوط مع قومه وكيف أهلکوا

اتكذيبهم له . وقصة شعيب مع أهل مدين وكيف أخذتهم

ثم ذكر أن هذه كانت سنة الله في كل قرية بعث فيها نبي
فكذبوه . ولو أنهم آمنوا بأنبيائهم لفتح الله عليهم وبارك فيهم
ولكنهم جاءتهم رسالتهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما
كذبوا من قبل فطبع الله على قلوبهم (وما وجدنا لأكثرهم من
عهد وان وجدنا لأكثرهم لفاستقين) (٣)

ثم استأنف ذلك القصص فذكر قصة موسى وأما
أفردا عن تلك القصص وفصلها عنها بما سبق اهتماما بها .
وهي قصة طويلة في سياق ترتبط آياته بعضها ببعض ارتباطا
ظاهرا . ابتدأها بما جرى لموسى مع فرعون وختمها بما جرى
له مع قومه إلى أن أمرهم بدخول القرية وأن يقولوا عند
دخولها حطة (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل
لهم ف أرسلنا عليهم رجلا من السماء بما كانوا يظلمون)

(٤)

ثم قص عليهم ما كان منهم بعد وفاة موسى من الاعتداء
في السبت الذي هو من اعظم شعائرهم . وكيف أخذهم الله
على ذلك بعذاب بئيس وجعل منهم فرقة وخنزير وبعث عليهم
من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة وفرق قدامهم في

الأرض إنما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك . ثم خلف
من بعد هؤلاء ، خاف كانوا كلهم فساقا يأخذون عرض هذا
الأدنى ونسوا ما أخذ عليهم من الميثاق ان لا يقولوا على الله
الا الحق بعد تأكده عليهم برفع الجبل الذي أخذ عليهم فيه
حتى صار فوقهم كأنه ظلة . وبعد أمرهم أن يأخذوه بقوة ولا
ينسوه . هذا الى ذلك الميثاق العام الذي اخذه الله على بنى آدم
وأودعه في فطرتهم أن لا يشركوا به ولا يعصوه . وبعد أن
شاهدوا ما جرى لاحد علمائهم حين نقض العهد وانسأخ من
الآيات التي اكرمه الله بها فأذله وجعله في مثل صفار الكلب
الذي هو أخس الحيوانات . وهكذا يكون حال كل شخص
يكذب بآيات الله أقبح حال . ومثله اسوأ مثل (من يهد الله
فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون)

الخاتمة

واقعد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون
بها أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون)
الآيات الى آخر السورة

(١)

ذكر بعد أن قص ما شاء من أخبار الأولين أن الله هكذا
 أراد أن يجعل البشر على قسمين ضال ومهتدي . فجعل للضال قلوبا
 لا يفقه بها حتى غفل عن ذكر الله والحمد في اسمائه . وهدي
 الثاني إلى الحق فجعلوه اماما لهم فيما يحكمون . والاولون الذين
 كذبوا بآيات الله لا بد أن يصيروا إلى ما صارت إليه تلك
 الامم القديمة وانما على الله لهم ليقطع عذرهم ثم يأخذهم
 بشدة ويكيد لهم كيذا عظيما . وهذا لاهمالهم التفكير في
 أمر هذا النبي الذي لم يكن مجنوننا حتى يهملوا ما جاءهم به
 من النذر . وتركهم النظر في ملكوت السموات والارض
 ليعرفوا ان له خالقا قبل أن يدركهم الأجل فلا يمكنهم النظر
 ولكن (من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

(٢)

ثم ذكر أنهم يسألونه عن ذلك اليوم الذي ينذرهم به سؤال
 استهزاء واستبعاد له فأجابهم بأن علمه عند الله وما هو الا
 بشر لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله .
 فهو الذي خلقهم ويقدر على نفعتهم وضرهم ولكنهم يشركون

به مالا يخلق شيئاً ولا يستطيع أنهم نصرًا . من الاصنام التي
ليست لها ارجل تمشي بها ولا اعين تبصر بها (وان بدعواهم
ألى الهدى لا يسموا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون)

«٣»

ثم امر النبي أن يقابل هذا كله بأمرين أولهما العفو
والاعراض . فأن بدرت منه بادرة غضب استعاذ بالله منها
فلا يعضى فيها كما يعضى أولئك المشركون في غيهم ثم لا يقصرون .
وهذا كما يعضون في اقتراح الآيات على النبي وأذا لم يأتهم
بآية قالوا هلا اجتبيتها (اقترحتها) على ربك . ولا يعرفون
انه نبي لا يصح أن يقترح على الله بل يجب عليه أن يتبع ما يوحى
اليه من آيات القرآن التي هي بصائر من الله . ومن استمع لها
إذا قرئت اهتدى بها واستغنى بها عن غيرها

وثانيها الاتجاء الى الله بالذكر في الغدو والآصال
والمواظبة عليه كما يواظب عليه من عند الله من الملائكة (أن
الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسجدون له
يسجدون)

﴿ فهرست الجزء الاول ﴾

- ٢ - اهداء الكتاب - ٣ - الغرض من الكتاب - ٧ -
 من الف في هذا الفن - ٩ - أصول عامه - ١٤ - فأنحة القرآن
 - ١٧ - سورة البقره - ٤٠ - سورة آل عمران - ٥٧ -
 سورة النساء - ٧٥ - سورة المائدة - ٨٨ - سورة الانعام
 - ١٠٣ - سورة الاعراف

(فهرست الخطأ والصواب)

صواب	خطأ	ص
تفعلون	تفعلون	٣٣
الم تر الى الذين	الم ترالذين	٣٤
بشهادته	بشهادته	٤٣
وأهمهم	وأهمهم	٦٢
يدعو	يدعوا	٥٦
طعمة بن أبيرق	طعمة بين أبيرق	٦٩
يقن	يعن	٧٢
العمود	العمود	٧٦
يوثر	يوثر	٩٤

الأفق الحديث

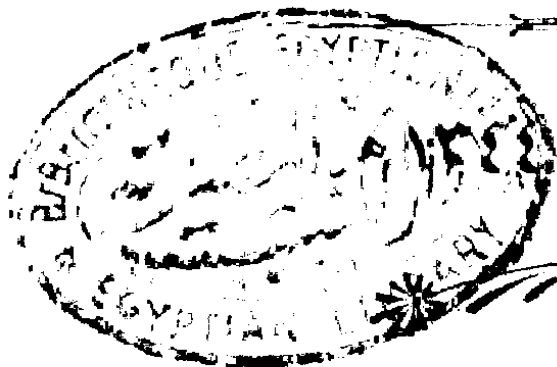
في نظم القرآن

الجزء الثاني

(تأليف)

عبد المنعم الصعبري

المدرس بالجامع الأزهر



سنة ١٩٢٦ م

(المطبعة الممومية بطنطا)

سورة الأنفال

سميت هذه السورة بذلك لذكر حكم الأنفال والغنائم فيها . وقد نزلت عقب غزوة بدر لشرح وقائعها واستنباط وجوه العبر منها ومؤاخذة المسلمين على أمور بدرت منهم فيها . فقد استنهمضهم النبي لقتال المشركين ببدر فكره فريق منهم لقاءهم لما كانوا فيه من قلة العدد والسلاح . ولما حضروا بدرًا ونصرهم الله على المشركين وجاء وقت قسمة الغنائم تنازعوها عليها وظهر على بعضهم عدم الرضا بما فعله النبي فيها . فسأله بعضهم كيف تقسم ولأن الحكم فيها أتمها جرين أم للانصار أم لهم جميعا . وغضب آخرون من تنفيذه بعض من أحسن في القتال وأعطائه من المنعم زيادة على سهمه . وتطلع فريق إلى الخمس الذي جعل لله والرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . وهذا الاختلاف في أمر تلك الغنائم كان السبب المباشر لنزول تلك السورة . ولهذا جعل ما عداه مما ذكر فيها من شرح وقائع تلك الغزوة مرتبا عليه في الأول والآخ

فقد ذكر في الاول أنهم سألوه عن قسمة تلك الغنائم
لما حصل في نفو سهم من جهةها فأجابهم على سبيل الاجال
بأن قسمة الغنائم لله والرسول يقسمانها على ما يشاء الله ويرى
فيه المصلحة وان كره ذلك من يجهلها . ثم ذكر ما يؤيد
هذا من غزوة بدر وخروجهم لها كارهين جهلا بما كان لهم
فيها من النصر والظفر . وقد ذهب في هذا السبيل ما شاء
ثم رجع الى تفصيل ما أجمله في الاول فبين مصارف الغنيمة
وكيفية قسمتها وأيد كون الخمس لله والرسول بما حصل في
غزوة بدر من امداد الله لهم بالملائكة ونير ذلك مما لولاه
ما تم النصر لهم . وقد مضى ما هتاف في شرح ما بقى من
غزوة بدر وما يتعلق بها الى آخر هذه السورة . فهي حينئذ
تنقسم الى قسمين اولهما في تفويض قسمة الغنائم الى الله
وفيما يتصل به من غزوة بدر . وثانيهما في تفصيل قسمة
الغنائم وما يتصل به من تلك الغزوة . وقد ذكرت هذه
السورة بعد سورة الاعراف لان قتل كبار المشركين في
غزوة بدر المذكورة في سورة الانفال كان مما اندرأوا به في
تلك السورة . فذكرت هذه السورة بعدها كتحقيق لما

أوعده الله . وتصديق لما أخبر به

القسم الأول

يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا
الله وأصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان
كنتم مؤمنين

الآيات الى قوله تعالى

وأن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير
(١)

ذكر أنهم سألوه عن قسمة الغنائم سؤالا ناشئا عن عدم
اطمئنانهم لما حصل في قسمتها في غزوة بدره فأجابهم بأن
قسمة الغنائم ليس مما يعينهم وإنما هي لله والرسول فتكون
على وفق ما تقتضيه حكمة الله وان جهلوا ما وحصل في
نفوسهم من ذلك ما حصل . فليتقوا الله وليفوضوا إليه
الامر ليكونوا من المؤمنين الذين إذا ذكر الله وجلت
قلوبهم (اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم
ومنفرة ورزق كريم)

ثم أراد اقناعهم بهذا فذكر أنهم خرجوا لغزوة بدر على كره منهم وكانوا يريدون أن يلحقوا بالعبير وفيها أربعمون فارسا مع أبي سفيان ولا يخرجوا للنفير وهم الف مقاتل مع أبي جهل . ويريد الله أن يحق ما أخبر به في سورة الاعراف من قطع دابر المشركين . وقد كان ما اراده الله فأمدم بالملائكة لتطمئن به قلوبهم والتي الرعب في قلوب اعدائهم وأمرهم أن يقاتلوهم زحفاً مترابطين لأنهم كانوا في قلة لا تحتمل تفرقهم . فأحكم تدبيرهم بمدان أمدم بالملائكة وغيرهم وبهذا وذلك تم لهم النصر وكان الله هو القاتل والراي . وقد فعل ذلك ليعطي المؤمنين عطاء جيلابو يوهن كيد الكافرين فيعلموا أن استفتاحهم على المسلمين بأصنامهم لا يفيدهم ويأتي بعكس مرادهم « ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تمودوا نعمد وان تغنى عنكم فتتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين »

ثم أمرهم بعد هذا أن يطيعوا الله والرسول حتى

لا يعودوا الى ما حصل منهم في تلك الغزوة من الخروج لها
 كارهين والاختلاف في قسمة غنائمها . وأن يستجيبوا لله
 والرسول اذا دعاهم للجهاد الذي فيه حياتهم . وان يتقوا
 الخلاف والفتن ويذكروا أنهم كانوا قليلا مستضعفين في
 الارض فأيدهم الله بفضله اتحادهم وطاعتهم لرسولهم . وان
 لا يخونوا الله والرسول في القتال والغنائم ويعلموا أن الاموال
 ليست الا فتنة لا ينبغي الغلو في التطلع اليها . وان التقوي
 والعمل الصالح خير من تلك الاموال وبه ينصرون على أعدائهم
 ويكفر عنهم سيئاتهم (يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم
 فرقا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم)

« ٤ »

ثم أمر النبي أن يذكر بعد هذا النصر الذي ناله في غزوة
 بدر حالا من أحراله الاولى اذ كان منعميفا في مكة يتأمر أهله
 على قتله أو اخراجه منها . واذا يستهزئون بآيات الله فيقولون
 انما أساطير الاولين ويدعون الله ان كان هذا من عنده ان
 يأتيهم بعذاب اليم . وما كان الله ليعذبهم والرسول بين
 ظهر انبيهم والمؤمنون يستغفرون الله ينهم . اما وقد

أخرجوهم من بينهم فقد استحقوا ان يعذبهم الله بسببهم
 للمسلمين عن المسجد الحرام واخراجهم منه وما يأتون فيه
 من العبادات الفاسدة لظروفهم به عراة يصفرون ويصفقون
 فلا ينفقوا ما ينفقون من اموالهم في قتال المسلمين فستكون
 عليهم حسرة ثم يغلبون لان ينتهوا عن كفرهم فيغفر الله
 لهم والا يسلط عليهم المؤمنين حتى يكون الدين كله لله (فان
 انتهوا فان الله عما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله
 مولاكم نعم المولى ونعم النصير)

القسم الثاني

واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسة وللا رسول ولذي
 القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما
 انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ
 قدير (الآيات الى آخر السورة)

• • •

هذا تفصيل لما تجله فيما سبق من تفويض قسمة الغنائم
 لله والرسول فبين هنا ان اربعة اقسامها للمجاهدين وخمسها

لله والرسول وذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
 لا يصح للمجاهدين التطلع اليه بعد ان آمنوا بالله ورأوا
 ما نزله عليهم يوم بدر من الامدادات التي لولاها لما حازوا
 تلك الغنائم التي يطعمون فيها كاهنوا ولا يرضون بقسمة الرسول
 فيها . ففي يوم بدر كان المشركون بالعدوة القصوى بجانب
 الماء والمسلمون بالعدوة الدنيا حيث لا ماء وكانوا كثيرا
 فقللهم الله في اعين المسلمين وامرهم ان يثبتوا لهم ولا يتنازعوا
 ليقبوا عليهم . ولا يكونوا كالمشركين في خروجهم للقتال
 بطرا ورتاء الناس يزين لهم الشيطان اعمالهم ويمدهم بأنه
 لا غالب لهم ويقول انصارهم من المنافقين وقد ايقنوا بهلاك
 المسلمين انهم قد غرهم دينهم فلم يتدبروا في عاقبة امرهم
 ثم ذكر أنه مع هذا كله ارسل الله عليهم اللاتكة
 يضربون وجوههم وأديبارهم وأهلكهم كما أهلك آل فرعون
 ومن قبلهم . وغير ما بهم من نعمة لأنهم غيروا ما بأنفسهم
 كما غير آل فرعون ومن قبلهم (كذبوا بآيات ربهم
 فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا
 ظالمين)

ثم تخلص من هذا إلى بيان أحوال المشركسين وما ينزم في قتالهم فذكر لهم حالين أولهما أنهم قد أصروا على الكفر فلا يرجي منهم أيما إن . وثانيهما أنهم لا وفاء لهم فكأنما عاهدوا عهدا نقضوه ولا يبالون . ثم ذكر أن مثل هؤلاء يجب استعمال الشدة في حربهم ونقض ما يخاف نقضه من عهودهم وأعدادنا يستطاع من قوة وخيل لقتالهم . ومع هذا أن جنحوا للسلم وجبت مسالمتهم وأن أرادوا به الخسار واكتسار الوقت لاستئناف الحرب فبأن الله يكفي المؤمنين رورهم وينصرهم عليهم كما نصرهم في غزوة بدر مع قلتهم (هو الذي أبدك بنصره وبالمؤمنين والفت بين قلوبهم ثم أنفت ما في الأرض جميعا ما الفت بين قلوبهم والكن الله الف بينهم أنه عزيز حكيم)

ثم ذكر به أن وعدم بنصره وكفايته أنه يجب أن يثبت منهم كل ثمانين من اعدائهم وكل مائة لآلف منهم . ثم خفف لهم هذا وأوجب أن يثبت كل مائة

لثمانين وكل ألف لافين . ثم وعدم بالنصر مع هذا أن
صبروا فقال (والله مع الصابرين)

« ٤ »

ثم ذكر أنه أن لا يصح لهم ان يبقوا على المشركين
بالاسر حتى يكثر القتل فيهم ويقبوا عليهم . وعاتبهم على
اطلاقهم أسرى بدر وقبول الفداء منهم ومع هذا أحياهم ولم
يرده على اولئك الاسرى سواء منهم من كان على الكفر
ومن كان مسلما ولم يهاجر وقايل . منهم . ووعد هؤلاء بأنهم
أن كانوا مؤمنين حقيقة فسيؤتيهم الله خيرا مما أخذ منهم
(وان يريدوا اخيانتك فقد خانوا الله من قبل بأمكن
منهم والله عليم حكيم)

« ٥ »

ثم رغب هؤلاء الذين لم يهاجروا في الهجرة بعد أن
رأى ما كان منهم من الخروج مع المشركين لقتل المسلمين
فجعل المهاجرين الاولين والانصار من الأوثان والخزرج
بعضهم اولياء بعض . وقطع الولاية بينهم وبين الذين لم
يهاجروا . - أن لم يكن قطعا تاما . فجوز نصرهم على من

لم يكن بينهم وبين المسلمين ميثاق لا على غيره . . . وقطع الولاية
قطما تاما بين المسلمين والكافرين فجعل بعضهم اولياء بعض
ثم زاد في الترغيب فذكر أن أولئك المهاجرين والانصار
هم المؤمنون حقوا وألحقهم من يهاجر بعدهم فقال (والذين آمنوا
من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شئ
عليم)

سورة التوبة

سميت هذه السورة بذلك لانها نزلت لقطع عهد
المشركين وعدم قبول شئ منهم الا التوبة من شركهم
وقد بلغ المسلمون في وقت نزولها من القوة ما يمكنهم به
ان يجمعوا العرب على دين واحد ويحجوا الشرك من بينهم
فيكون الاسلام هو الدين الوحيد في تلك الجزيرة . وكان
مع المسلمين فيها ثلاث طوائف المشركون واهل الكتاب
والمنافقون . فأمروا ان يقاتلوا الاولين ولا يقاتلوا منهم
الا التوبة من الشرك . وان يقاتلوا اهل الكتاب حتى

ببطاوا الجزية . وان لا يقبلوا المنافقين بينهم ويعاملوهم
كغيرهم فتلك ثلاثة مقاصد في هذه السورة
ولما نزلت هذه السورة لتشريد المشركين والتكميل
بهم وتسليط المسلمين عليهم . وكان هذا من تمام ما اوعدهم
الله به في سورة الاعراف . ذكرت بعد سورة الانفال تكميلا
للمقصود منها . حتى قال بعض العلماء انها سورة واحدة

المقصود الاول

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
فسيجروا في الارض اربعة اشهر . واعلموا انكم غير معجزي
الله وان الله مخزي الكافرين

الآيات الى قوله تعالى

يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس (الآية)

« ١ »

سئل المشركون في تسليط المسلمين عليهم قسمين
أولهما من كان لا يحافظ على عهد النبي وينوي الخيانة . وهؤلاء
أمر المسلمون بنقض عهدهم وأمهالهم أربعة اشهر . وهي

الاشهر الحرم من يوم الفجر الى العاشر من شهر ربيع الآخر
ثم لا يكون لهم امان فيقتلون ويؤسرون ويحصرون أن
ان تحصنوا ويقعد لهم بكل مرصد. الثاني من حافظ على
عهد النبي ولم ينقصه شيئا وهو لاء أمر المسلمون أن يتنصروا
اليوم عهدهم إلى مدتهم . فإذا انقضت فلا يجدونه لهم .
ويكون حكمهم في عدم الامان كغيرهم . ثم استثنى منهم
من يقصد النبي ليسمع كلام الله ويؤمن أن تقتنع به . فإن آمن
فيها والا وجب عدم التعرض له حتى يصل إلى دار قومه
(وأن احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام
الله ثم ابلغه ما آمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون)

« ٣ »

ثم ذكر من تحريفهم عليهم وترغيبهم في قتالهم وتأبيرد
نقض عهدهم وجوها أولها أنهم أن يظفروا بالمسلمين
لا يرقبون فيهم عهدا ولا ذمة . ومن لم يعترم عهدا لا يحترم
عهده بل يجب قتاله الا ان يتوب ويسأل النبي عن الايمان
فيصان دمه كاخوانه في الدين فإن نقض عهد الايمان أهدر
دمه كما كان

ثانيها أنهم نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا
 بنى بكر على خزاعة حلفاء النبي . وهم الذين هموا بأخراجه
 من مكة لو لم يخرج بنفسه خفية منهم الخ

ثالثها ان الله ضمن لهم النصر عليهم ليشفي صدورهم
 ويذهب غيظ قلوبهم . ويتوب على من يشاء من المشركين
 اذا شاهد تأييد الله لهم

رابعها أن الله يريد ان يميز المخلص في ايمانه وهو من
 جاهد في سبيله ولم يتخذ وليجة من دونه ممن لم يخلص في
 ايمانه فينفر من قتال اوليائه من المشركين

خامسها أنهم قوم كفار عبدة اصنام فلا يصح ان يبقى
 مسجد الله الحرام بأيديهم . يقومون بعمارته ويسقون الحاج
 به ويفخرون على المسلمين بتلك الوظائف وهم اولى بها
 منهم . ومع هذا فما هي تلك الوظائف التي يفخرون بها من
 العمارة والسقاية وغيرها بجانب الايمان بالله واليوم الآخر
 والمجاهدة في سبيله . وبجانب ما اعد الله للمؤمنين من
 جنات لهم فيها نعيم مقيم (خالدين فيها ابدا ان الله عنده
 اجر عظيم)

ولما كان المسلمون لهم في المشركين آباء وابتناء وإخوان
 وبنان يشق عليهم أن يقاثلوهم . وكان لهم عندهم في مكة
 أموال وتجارات يخافون عليها . ذكر انه لا يصح أن تقدم
 القرابة على الدين ولا مصلحة الدنيا على الآخرة . وان
 الله ورسوله أولى بهم من آبائهم وابتنائهم وهو الذي نصرهم
 في مواطن كثيرة خصوصا يوم حنين اذا اعجزتهم كثرتهم
 فلم تغن عنهم شيئا ولم ينفعهم الا تأييد الله بجنوده لهم
 وان المشركين نجس يجب التبرؤ منهم ان كانوا اقرباء
 وابعادهم عن المسجد الحرام فلا يقربونه بعد عاهتهم هذا
 الحج أو غيره . وان خاف المؤمنون من ذلك انقطع ما كانوا
 يجلبونه في موسم الحج من الارفاق والكسب افسد
 يغنيكم الله من فضله ان شاء الله عالم حكيم

المقصد الثاني

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا
 يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من

الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
الآيات الى قوله تعالى

أما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا - الآية

()

أمر بقتال اهل الكتاب حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية
وذكر في تبرير قتالهم وجوها اولها انهم لا يؤمنون بحق
الايان بالله واليوم الآخر. ثانيها انهم صاروا كالمشركين في
نسبة الاولاد لله. فاليهود تقول عزير بن الله كما تقول النصارى
ذلك في عيسى ابن مريم. ثالثها انهم يؤذون المسلمين
ويريدون ان يطفئوا نور الله وهو دين الاسلام الذي يقفون
في طريقه. وقد اراد الله ان يظهره على الدين كله. ورابعها
ان احببهم ورهبانهم يأكلون اموال الناس بالباطل
ويكثرون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله (فبشرهم
بمذاب اليم يوم يحمى عليهم في نار جهنم فتكون بها جباههم
وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما
كنتم تكفرون)

ثم تكلم عن زمن القتال فأباح للمسلمين أن يقاتلوا في جميع شهور السنة حتى الأشهر الحرم وقد كانوا يحرمون القتال فيها في الجاهلية ويحلون النسيء وهو تأخيرها عن مواضعها في السنة إذا صادفتهم وهم يحاربون أو لم يوافق الحج فيها موسم تجارتهم . حرم ذلك النسيء وقال عنه أنه زيادة في الكفر (يضل به الذين كفروا يحلون له عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين)

المقصود الثالث

يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أنقلتم إلى الأرض أرضنتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل
الآيات إلى آخر السورة

كانت غزوة تبوك التي خرج فيها لقتال الروم في وقت

الصيف والحرب شديد والروم أقوياء ليسوا كغيرهم من قبائل العرب الذين كانوا يقاتلونهم فهناك ظهر المنافقون في ثوبهم الحقيقي وتثاقلوا عن الخروج وأثروا في كثير من المؤمنين فتثاقلوا معهم واستأذن بعضهم النبي في عدم الخروج فأذن لهم فنزلت هذه الآيات لتوبيخ المتثاقلين المؤمنين كانوا أو منافقين وأمرهم بالجهاد والخروج له ولو ثقل عليهم (خفافا وثقالا) ولم يكن السفر إليه سهلا قريبا (قاصدا) ومعاناة النبي على أذنه لهم في التخلف وكان الأولى عدمه ليظهر نفاقهم وينفضح حالهم . فقد كانوا بحيث يكتفون بالخروج ولم يكن لهم عذر في التخلف عنه . ولكن كره الله خروجهم فثبطهم لانه علم أنهم لو خرجوا لاجتهدوا في تفريق كلمة المسلمين وكانوا هيوناً لا أعدائهم ينقلون أخبارهم اليهم كما كانوا يفعلون قبل تلك الفزوة (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلوبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)

ثم أخذ في شرح أحوالهم القبيحة وتفصيل أفعالهم الذميمة ليبرر بذلك ما أراد من نبيه هم وعدم قبول نفاقهم

ورفع الامان عنهم فذكر منهم أقساما أولها الذين اذا دعوا
 للقتال ذهبوا الى النبي ليأذن لهم في عدم الخروج ولا يوقعهم
 في الفتنة وعرضوا عليه في نظير هذا من المال ما ينفقه في
 القتال . فاذا خرج المؤمنون للقتال وأصابتهم حسنة ساءتهم
 فاذا أصابتهم سيئة فرحوا لعدم خروجهم معهم مع أنهم
 لا يصيبهم الا ما كتب الله لهم من إحدى الحسينيين النصر
 أو الشهادة في سبيل الله . أما هم فالمال الذي قدموه في نظير
 فعودهم لا يقبل منهم ولا يثابون عليه في الآخرة . ثم نهى
 النبي أن يتطلع الى اموالهم واولادهم ليأخذ منها مثل ما كان
 يأخذه منهم مما كانوا يظهرون به للمؤمنين خداعا أنهم منهم
 وما هم منهم ولكنهم قوم يفرقون (لو يجدون اجبا أو مغارات
 أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمعون)

« ثانيها »

الذين يلذون النبي في الصدقات ويقولون أنه يؤثر بها
 أقاربه واهل مودته مع أنها تصرف معرفا لا أثر للهوى فيه
 ولا يأخذها الا من يستحقها من الفقراء والمساكين
 والعاملين عليها الخ

« ثالثها »

الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ولا يتدبر فيه . ثم يخلفون مع هذا المؤمنين أنهم منهم لا يرضونهم ولو كانوا صادقين في حلفهم لا رضوا الرسول الذي يطعنون فيه وهو احق ان يرضوه منهم ولكنهم يفعلون ذلك استهزاء بهم ويحذرون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بحقيقة أمرهم وانهم كاذبون في حلفهم فيفضيئون عليهم الخ ثم ذكر انه يجب ان يكون المنافقون بعضهم لبعض لا يصح ان يدخلوا بين الرسول والمؤمنين قيوذوه ويحاولوا ان يسترضونهم بعد اذائه . بل يجب ان يتركوا وحدهم يأتون منكراهم ويبتخلون بأموالهم وينسئون الله ليمذبهم كما عذب الذين من قبلهم قوم نوح وعاد الضح وأنه يجب ان يكون المؤمنون بعضهم أولياء بعض فلا يوالون هؤلاء الذين يطعنون في دينهم ويحاولون مع هذا ان يسترضونهم . واذا كان المنافقون يوالون بعضهم بعضا على الامر بالمنكر والنهي عن المعروف فيجب ان يوالوا المؤمنون بعضهم بعضا على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ايرحمهم

الله ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار الخ
ثم امر النبي أن يجاهدكم كما يجاهد الكفار لأنهم قالوا كلمة
الكفر (هو اذن) فصاروا مثلهم بل هموا بما لم ينالوا من
الفتك برسول الله (وما تقوموا الا ان أغناكم الله ورسوله من
فضله فان يتوبوا يك خيراً لهم وان يتولوا يعدبهم الله عذاباً
اليم في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير)
« رابعاً »

الذين عاهدوا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن فلما آتاهم
من فضله بخلوا به ثم سخروا من المؤمنين الذين لا يجدون الا
جهدم فيتصدقون منه على قدر طاقتهم سخر الله منهم ولهم
عذاب اليم . فليستغفر النبي لهم اولا يستغفر لهم فلا بد من
عذابهم وان يغفر الله لهم (ذاك بأنهم كفروا بالله ورسوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين)

« ٣ »

ثم رجع الى اصل الكلام وتخلفهم عن فزوة تبوك
وفرحهم به ليرتب عليه تلك الاحكام التي ذكرها . وأولها
أن لا يستصحبهم بعد هذا في قتال أعدائه . وثانيها ان لا يصلي

على أحد منهم مات ابدا . وثالثها ان يكف نفسه عن اموالهم
فلا يأخذ منها شيئا كما كان يأخذ قبل ان يجاهروا بتفاقمهم .
قليلترتهم و اموالهم و اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
فلا ينفقونها في سبيل الله و اذا امر بالقتال اصحابهم اجاءوا
يستأذنون النبي ليركهم مع النساء والضعفاء (الخوالف)
(لكن الرسول و الذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم و انفسهم
و اولئكَ لهم الخيرات و اولئكَ هم المفلحون أعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدون فيها ذلك الفوز العظيم)

« ٤ »

ثم اخذ في شرح احوال المنافقين من الاعراب (اهل
البادية) و كان ما تقدم في منافق المدينة . فذكر أنهم فعلوا في
تلك الغزوة ما فعله الاولون فقدموا عنها بأذن من النبي
و بلا أذن . و لم يكن لهم في التخلف اعدار حقيقية من
ضعف أو مرض أو فقر بل كانوا اغتياها رضوا بأن يكونوا
مع الخوالف و طبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون . فلما رجع
النبي و المؤمنون من تلك الغزوة سالمين جاؤا إليهم ثانيها
يعتذرون إليهم و يحلفون لهم ليرضوا عنهم (يحلفون لكم

انرضوا عنهم فأن ترضوا عنهم فأن الله لا يرضى عن القوم
الفاستقين (

« ٥ »

ثم أخذ في شرح أحوالهم بقطع النظر عن هذه الغزوة
كما شرح أحوال منافق المدينة بعد شرح ما فعلوه فيها .
فذكر أن الأعراب أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر .
فمنهم من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بالمومنين الدوائر
عليهم دائرة السوء الا قليل يتخذ ما ينفق قربات عند الله
فأولئك سيدخلهم الله في رحمته مع المهاجرين والانصار
والذين اتبعوهم بأحسن

ومنهم من تغالى في نفاقه ومرد عليه كما مرد منافقوا
أهل المدينة . ومنهم من لم يتغال في النفاق بل خاط عملا
صالحا هو خروجه مع النبي في سائر الغزوات . وآخر سيثا
هو تخلفه عن تلك الغزوة مع ندمه عليه وأسراة الى التوبة
منه . فهو لاء يرجي أن يقبل الله توبتهم الخ
ومنهم من بقى موقوفا امره لعدم مصادقة الى التوبة
من تخلفه . ككعب بن مالك الذي قال له النبي اعتذر من

صدمك فقال لا حتى تنزل توبتي . فأما يمدبه الله وأما يتوب
 عليه والله اعلم حكيم . ومنهم الذين اتخذوا مسجدا يضارون
 به مسجدا قبا ويفرقون بواسطته بين المؤمنين . وقد
 أمر النبي بتخريبه وعدم الصلاة فيه . فإنه لا يصح أن يترك
 الصلاة في مسجد أسس على التقوي مع رجال يحبهم الله
 إلى مسجد أسست بذيانه على شفا جرف هار فانها ربه في نار
 جهنم . ورجال تأصلت الريبة في قلوبهم فلا تزول الا ان
 تقطع قلوبهم والله اعلم حكيم . فلا عكن أن يكونوا كقوم
 اشترى الله انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل
 الله فيقتلون ويقتلون الخ الخ

ثم ذكر انه ما كان للنبي ولا للمؤمنين أن يصلوا في
 ذلك المسجد ويستمروا على الاستغفار لا وائتك المنافقين
 المشركين من بعد ما تبين لهم أنهم اصحاب الجحيم . وأن
 استغفار ابراهيم لابييه وقد كان مشركا لم يكن الا لانه
 وعده أن يؤمن . فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه وترك
 الاستغفار له . ثم بين أنه لا يؤخذهم بما كان منهم من
 الاستغفار لهم وانه اولى منهم بأن يتخذوه وايا وانصير انقل

(وما كان ليضل قوما بعد اذ هداهم) الآيتين

« ٦ »

ثم تكلم فيمن تخلف عن تلك الغزوة من المؤمنين وقد قلنا ان فريقاً منهم تخلف عنها كسلاً وبثأثير المنافقين فلما فرغ من الكلام على المنافقين وذمهم على تخلفهم عنها انتقل الى من تخلف عنها من المؤمنين ومن ضاقت به نفسه وكاد يزيغ قلبه من شدتها فبين أن الله قبل توبتهم مما حصل منهم وخصوصاً الثلاثة الذين خلفوا الخ

ثم أمرهم ان يتقوا الله ولا يعودوا الى التخلف عن الجهاد في سبيله فانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب فيه ولا يتفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الا جازاهم الله عليه أحسن الجزاء ثم استثنى من ذم التخلف عن الجهاد من يتخلف للتفقه في الدين فقال (ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)

« ٧ »

ثم أمرهم ان يقبلوا أوامرك المنافقين ولا يلبسوا بهم

ويعجبهم عليهم بذكر بعض قبائحهم وان منهم من اذا نزلت
سورة يقول لاخوانه في النفاق استهزاء ايكم زادته هذه
ايانا . او ينظر بعضهم الى بعض لينصرفوا عن سماعها اذا لم
يرهم احد من المسلمين . ولو كانوا يفقهون ما فعلوا هذا
وشكروا الله الذي ارسل فيهم رسولا منهم حريصا على
ايصال الخير اليهم وهو بالمومنين رؤوف رحيم (فان
تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب
العرش العظيم)

سورة يونس

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة يونس فيها .
والغرض منها التنويه بشأن القرآن ودفع اعتراضات المشركين
عليه . وتنقسم السورة باعتبار هذا الى قسمين اولهما ما جاء
في سرد تلك الاعتراضات والجواب عنها . وثانيهما في
استمالتهم اليه بالترغيب والترهيب . فالاول ببيان فضله
وعظم ما جاء به . والثاني بذكر بعض قصص الاولين وما
حصل لهم بسبب تكذيبهم لرسولهم وتذليل ذلك بما يناسبه

مما ختمت به السورة

القسم الاول

التي تلك آيات الكتاب الحكيم

الآيات الى قوله تعالى

هو يحيى ويميت واليه ترجعون

نوه بشأن القرآن ثم ذكر من اعترضاتهم عليه وجوها
اولها انهم تعجبوا ان يوحى الى رجل منهم بما ينذرهم
بيوم يعذبون فيه ويكون للمؤمنين قدم صدق عند ربهم
فهذا لا يكون وانما هو سحر مبين

وقد اجاب عنه بجوابين اولهما ان هـ هذا اليوم ليس
ببعيد على من خلق السموات والارض وبدأ الخلق من العدم
فهو يعيده ليجزي المحسن على احسانه والمسيء على اساءته
ثانيهما ان الله جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل
يعرف بها عدد السنين والحساب وجعل الليل والنهار مختلفين
يعقب كل منهما الآخر. فلو لم يكن كل ذلك سائرا الى غاية
لكان خلقه باطلا ولم يكن له هذه الحركة معنى معقولا.
فالذين لا يرجون لقاء الله بعد هذا ما واهم النار. والذين

يؤمنون به لهم جنات تجري من تحتها الأنهار . ثم ذكر ان
 هذا اليوم الذي يستبعدونه في قدرة الله ان يجعله وبهلكهم
 كما هلك الامم القديمة حينما كذبت رسلاها ولكنه أراد
 امهال هذه الامة لينظر ما يكون منها (ثم جعلناكم خلائف
 في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

« ثانيها »

انه اذا نليت عليهم آيات القرآن الواردة في اثبات
 المعاد و ذم آلهتهم طلبوا من النبي ان يأتيهم بقرآن غيره
 ليس فيه تخريف بذلك اليوم . ولا ذم لتلك الآلهة . فرد
 عليهم بأن هذا الكتاب ليس من عنده حتى يكون له أن
 يبدله . ولو كان من عنده ما انتظر حتى يبلغ الاربعين بل أتى
 به من قبلها خوفا من الموت قبل اظهاره . على أنه يعلم أن من
 يفترى على الله شيئا فهو أشد خلاق الله ظلما ولا ينقص جرمه عن
 جرم من يكذب بآياته . فلا يمكن ان يقدم على افتراء شيء عليه
 ثم ذكر ان تلك الآلهة لا تضرهم ولا تنفعهم فلا
 يصح ان يغضبوا لدمها وقد كانوا قبلها امة واحدة على دين
 أبيهم ابراهيم فاختلفوا عنه اليها (ولولا كلمة سبقت من

ربك لفضي بينهم فيما فيه يختلفون)

« ثالثها »

انهم قالوا لو كان من عند الله لكنت له آية عايه . وقد رد عليهم بأمر أولها انه ليس له من الامر شئ وانما ذلك لله ان شاء أنزل ما يظلمونه وان شاء لم ينزله . وثانيها ان الله يعلم انه اذا أنزل آية يكذبون بها لان عاداتهم المكر واللجاج فاذا وقعوا في مصيبة دعوا الله مخلصين حتى اذا انجاهم منها عادوا الى بغيهم وغرورهم بالحياة الدنيا التي لا يصح لما قبل ان يغتر بها . وهي ليست الا كما نزل من السماء فاخطأ به نبات الارض حتى اذا اخذت زخرفها وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امر الله فصارت كأن لم تكن بتلك الزينة وذلك الزخرف . بخلاف الآخرة فانها دار سلام وأمن لمن عمل لها ودار ذلة وعذاب لمن اغتر بالدنيا ونسيها . فهذا كما تبرأ منهم آلهتهم ويقولون انا كنا غافلين عز عبادتكم . هذا كما يردون الى الله مولاهم ويضلل عنهم ما كانوا يفترقون من آلهتهم . ثم أمرهم بمناسبة ذكر آلهتهم ان ينظروا فيمن يرزقهم من السموات والارض ويملك السمع والابصار

الخ الخ ليعلموا أنها لا تملك منها شيئا . وانها لا تنفع لها في
الآخرة كما لا تنفع لها في الدنيا

ثالثها ان ذلك الكتاب لا يمكن ان يكون مفترى على
الله والا لامكانهم ان يأتوا بسورة مثله فهو من عند الله
حقا ولكنهم يكذبون بما لم يحيطوا بعلمه او يحيطون به
ويؤمنون باطنا ولكنهم يظهرون الكفر به عنادا .
ويقفون بأزائه موقف الصم الذين لا يسمعون . والعمى
الذين لا يبصرون . فويل لهم من يوم يحشرون فيه فينسىهم
هو له سابق معرفتهم فيتمارفون بينهم . هذا بعد ان
ينالهم في الدنيا ما وعدوا به من القتل والاسر ويقضى
بينهم بالتسوط وهم لا يظلمون

فان قالوا متى يكون هذا الوعد واستعجلوه فليعلموا
ان امره مفوض الى الله وله أجل لا يمكن ان يتقدم عنه
او يتأخر . وانه لا فائدة لهم في استعجاله لانه لا يأتي
الا بعدابهم ولا يقبل منهم أيان فيه

فان أعادوا السؤال عنه بعد هذا وقالوا أحق هو
فليعلموا انه حق بما فيه من عذاب اذا رأوه يتمنون لو ان

لهم ما في الارض ليفتدوا به. وليس ذلك على الله بعزيز وهو
الذي له ما في السموات والارض فلا يكون وعده الاحقا
واكن اكثر الناس لا يعلمون (هو يحيى ويميت واليه ترجعون)

القسم الثاني

يا ايها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما
في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
الآيات الى آخر السورة

« ١ »

لما رد اعتراضاتهم على القرآن شرع يرغبهم فيه بأنه
موعظة وشفاء وهدى ورحمة يحمل لهم ما انزل الله لهم من
رزق جعلوا منه حراما وحلالا ابتراء على الله الى غير ذلك
من وجوه فضله التي منحهم الله بها وليكن اكثرهم لا
يشكرون ولا يعلمون ان الله مطلع عليهم ولا يعزب عنه
صغير ولا كبير من اعمالهم . ثم نهى النبي أن يحزن لافعالهم
السابقة في القرآن وضمنهم عليه بأعزازهم فان المزة لله
جميعا لهم ولا للمابدعون . من دونه من شركائهم فان نسبوا

الى الله وقالوا انها ولده فعزتها من عزته فليعلموا ان الله
غنى عن الاولاد التي يفترونها عليه ولا يعلمون ان الذين
يفترون عليه الكذب لا يفلحون (متاع في الدنيا ثم اليها
مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

« ٢ »

ثم سلك سبيل اترهيب بعد الترغيب فتلا عليهم من
قصص الاولين وما اصابهم بكذب رسالهم قصة نوح مع
قومه وكيف اغرقهم الله لما كذبوا به . وقصة موسى مع
فرعون وكيف اغرقه الله لما كذب به وبوأبى اسرائيل
ميراً صدق من بعده ورزقهم من الطيبينات حتى اختلفوا
على رسالهم فأصابهم الله بما اصابهم . ثم ذكر ان هذه الامم
انما اهلكها الله لانه علم انهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية
فلم يشاء أمثالهم . ولو آمنوا لتجرهم كما تجر قوم يونس (لما
آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم
الى حين)

« ٣ »

ثم رجع الى النبي وقومه فذكر له ان الايمان بمشيئة الله

لا بما يطلبونه من آيات ولو شاء لهدى اليه الناس جميعا لا
 قومه فقط . وهذه السموات والارض ينظرون فيهما ما
 لا يحصى من آيات الله والكن ما تنفى الآيات والنذر عن
 قوم لا يؤمنون فلينتظروا أن يحل بهم ما حل بالذين خلوا
 من قبلهم من قوم نوح وغيرهم

ثم أمره بعد هذا أن يصرف نظره عنهم ويعبد الله
 وحده ويتركهم في شركهم (فن اهتدى فأنا يهتدى لنفسه
 ومن ضل فأنا يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل . واتبع ما
 يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين)

سورة هود

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة هود فيها . وقد
 جاءت بعد سورة يونس مكتملة لما ذكر فيها من الكلام مع
 المشركين ودفع طعنهم على القرآن . ومتممة لما ذكر فيها من
 اخبار الامم التي كذبت رسلا مع زيادة بيان في القصتين
 اللتين ذكرنا في سورة يونس وذكرنا هنا مفتتحا تسم
 القصص بأولاهما ومختتما بأخراهما دلالة على أن القصص

هنا جاء متمما لما هنالك . وتشتمل هذه السورة على
مقصدين كما تشتمل السورة السابقة

المقصد الاول

الكتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير

الآيات الى قوله تعالى

مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل

يستويان مثلا أفلا تذكرون

« ١ »

ابتداء هذه السورة كالتى قبلها بأثبات أن القرآن الذى

يطعنون فيه قد احكمت آياته قبل أن تنزل اليهم . فلا يمكن

أن يكون هناك ما يتوجه اليه طعنهم . ثم نزل بعد هذا

مفرقا بحسب الوقائع والاحوال على ما تقتضيه حكمة

الحكيم الخبير . ولا غرض له الا هداية للناس لعبادة الله

وحده ليمتتهم . تاعا حسنا ويؤتى كل ذى فضل فضله . فان

لم ينتهوا يعذبهم فى يوم يرجعهم اليه وهو على كل شى قدير .

ويعلم ما يأتونه فى السر والعلن ولم يخلقهم الا ليعلم أنهم أحسن

عملا . والا كان خلقه باطلا . ولكن النبي اذا قال لاوثك
المشركين انكم مبعوثون من بعد الموت يقولون هذا
سحر مبين . واذا أخرج عنهم ذلك اليوم الذي اعد لعذابهم
ألى الوقت الذي عينه الله له استهزؤا به وقالوا اذا كانت
صحيحا فما يحبه عنا . وهكذا جرت عادة الانسان اذا
أوقعه الله في الشر بعد الخير تعالى في اليأس والكفر . واذا
أنعم عليه تعالى في النعمة وظن أنه اصبح بما من من الشر
(الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة
وأجر كبير)

« ٢ »

ولما مهد بهذا أخذ يدفع ما طعنوا به على القرآن من
أنه لو كان من عند الله لكان له دليل عليه فينزل عليه آية
أو يجيء معه ملك وقد اجاب عن هذا بجوابين أولهما أنه
ليس الا رسولا ولا قدرة له على ايجاد هذه الاشياء .
ثانيهما أنه لو كان ذلك الكتاب مفترى على الله لا يمكنهم
أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات . وهم يعرفون أنهم لا
يمكنهم ذلك وانكسرهم آثاروا الحياة الدنيا فلم يؤمنوا به ولم

ببخسهم الله فيها شيئاً . أما الآخرة فليس لهم فيها الا للنار
 ولا يمكن ان يكونوا كالمؤمنين الذين هم على يقين من
 ربهم ويؤمنون بهذا الكتاب أما احزاب المشركين
 فيكفرون به وموعدهم النار يوم يمرضون على ربهم ويقول
 الاشهاد من الملائكة الذين يحفظون اعمالهم هؤلاء الذين
 كذبوا على ربهم الخ

أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأولئك اصحاب الجنة فيها
 خالدون (مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع
 هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون)

المقصد الثاني

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين
 الآيات الى آخر السورة

« ١ »

ذكر من اخبار الاوان قصة نوح مع قومه . وقصة
 هود مع عاد . وقصة صالح مع ثمود . وقصة ابراهيم مع
 الرسل الذين بعثوا لاهلاك قوم لوط . وقصة هؤلاء الرسل

مع لوط وقومه . وقصة شبيب مع اهل مدين . وقصة
 موسى مع فرعون وملئه
 ثم ذكر انه يقص اخبار تلك القرى وما جرى لها من
 العذاب لتكون آية لمن يطلب أن ينزل عليه كثر او ملك
 فيما سبق فيخاف أن يعذب مثمها في يوم يجمع له الناس
 قنهم شقي وسعيد . فأما الذين شقوا في النار لهم فيها
 زفير وشهيق . . . (واما الذين سعدوا في الجنة خالدين
 فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء
 غير محنوذ)

« ٢ »

ثم ذكر أن حال هؤلاء المشركين كحال تلك القرى
 يعبدون من دون الله ما لا يضر ولا ينفع . وأنه لا بد أن
 يصيبهم من العذاب مثل ما أصابهم . ولولا ما تقدم من حكم
 الله بتأخير عذابهم حتى يؤمن من يؤمن منهم لعجل هذا
 العذاب وقضى بينهم . وسواء آخر هذا العذاب أو قدم
 فلا بد من يوم يجمع فيه الكل ويوفون جزاء أعمالهم (وان
 كلالا يوفونهم ربك أعمالهم انه باعملون خير)

ثم أمر النبي أن يستقيم هو وأتباعه ولا يركن إلى
 هؤلاء المشركين لئلا يصاب معهم بمثل ما أصيبت به تلك
 القرى . وأشار إلى أن عدم وجود مثلهم أولى بقية ينهون
 عن الفساد وترك الاستقامة في تلك القرى كان السبب فيما
 قضى الله عليهم من العذاب والهلاك . فقد جرت عادة الله
 أن لا يهلك القرى بالشرك وحده وإنما يهلكهم بترك
 الاستقامة والافساد في الأرض (وما كان ربك ليهلك
 القرى بظلم وأهلها مصلحون)

ثم اخذ يصبر النبي فذكر أن الله هو الذي اراد أن
 يشركوأ به ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة فيجب أن يرضى
 بما اراده الله وان يكون مثل الرسل الذين يقص عليه انباء
 صبرهم على اذى قومهم . بل يجب ان يقول لهم امضوا في
 أيدائكم واعملوا على مكانتكم وانتظروا امر الله فيكم فإنه
 هو الذي يعلم متى يكون (وقله غيب السموات والأرض
 واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل

(عما تعلمون)

سورة يوسف

ذكر في هذه السورة قصة يوسف مع ابيه واخوته
تكميلاً للقصة التي ذكرت في السورتين السابقتين .
وقد افردت هذه القصة في هذه السورة اهتماماً بها . ويقصد
منها ما يقصد من تلك القصص من التنويه بشأن القرآن
والاحتجاج بها على انه من عند الله لانها من الغيب الذي
ما كان يعلمه النبي وقومه الذين كانوا يجهلون انباء تلك
الشعوب جهلاً تاماً . ولهذا افتتحت هذه السورة

بقوله تعالى

الر تلك آيات الكتاب للبين . انا انزلناه قرآنا عربيا

لعلمكم تعلمون

وهو مثل ما افتتحت به السورتان السابقتان للإشارة
الى ان المراد هنا وهناك اثبات ان القرآن الذي يطمنون
فيه من عند الله . كما ذيات هذه القصة بقوله تعالى في

هذه السورة

(ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم
 اذا جمعوا امرهم وهم يمكرون)
 وبقوله في آخر السورة

(لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان
 حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل
 شيء ومدى ورحمة لقوم يؤمنون)

لإقامة هذه القصة دليلا على صحة تلك الدعوى التي
 افتتحت بها هذه السورة . ويمكن أن يقصد منها أيضا
 بطريق العرض ما قصد من القصص السابقة من تثبيت
 قواد النبي وتصديقه على أذى قومه ليكون له أسوة بيوسف
 مع إخوته وفوز عليهم مثل فوزه . ولهذا لم يكذب يفرغ
 من هذه القصة ويذيلها بما سبق حتى انتقل إلى النبي وقومه
 فأخبره بأن أكثرهم بعد هذا القصص العجيب سيهدى في
 كفره ولا يؤمن ولو حرص النبي على إيمانه . وسيعرض
 عن هذه القصة كما مر على آيات كثيرة في السموات والأرض

وهو معرض عنها

ثم ذكر أنه يجب أن يكتبني بارشادهم إلى السبيل الواضحة
 (قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة) ولا يحزن إذا
 اعرضوا عنها بل يجب أن يكون كما وثك الرسل الذين
 أرسلهم الله إلى تلك القرى البائدة التي لا يعتبر هؤلاء
 المشركون بالنظر فيما آل إليه أمرها . كانوا يصبرون على
 اذى قومهم وينتظرون وعد الله ولو طال زمنه عليهم (لقد
 كان في قصصهم عبرة لأولى الالباب ما كان حديثا يفترى
 ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى
 ورحمة لقوم يؤمنون)

سورة الرعد

سميت هذه السورة بذلك لذكر حديث الرعد فيها وأنه
 يسبح بحمد الله . ويقصد منها ما قصد من السور الثلاثة
 السابقة بأثبات امور ثلاثة نزل بها القرآن وطعنوا عليه
 بسببها وهي التوحيد والمعاد والرسالة . ولذلك افتتحت
 بما افتتحت به تلك السور مع تغيير قليل في الالفاظ

وهذه فاتحتها

المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل اليك من ربك الحق
ولكن أكثر الناس لا يؤمنون

وأنة لا شيء في ان ترد سورتان واكثر لفرض واحد
مع اختلاف المسالك كما يرد فصلان أو اكثر من كتاب
في فرض واحد بمثل هذا الاعتبار
وينقسم ما جاء في هذه السورة بعد فاتحتها الى ثلاثة
أقسام . أولها في اثبات التوحيد . وثانيها في اثبات المعاد
وثالثها في اثبات الرسالة

القسم الأول

الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى
على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى
يدبر الأمر يفصل الآيات لعلمكم بلقاء ربكم توقنون
الآيات الى قوله تعالى

(وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من اعناب) الآية

استدل على ان الله واحد بامور ثلاثة اولها يتعلق
 بالاجرام السماوية من رفعه السماء بغير عمد الخ . وثانيها
 يتعلق بالاجرام الارضية من بسطه الارض وانشاء الجبال
 فيها لترسوبها ولا تضطرب الخ . وثالثها ان الارض تكون
 فيها قطع متجاورات تنشأ فيها جنات من اعناب وزرع
 ونخيل وتسقى بما واحد ومع هذا تكون مختلفة الطعم
 واللون والطبيعة . وليس ذلك الا بتقدير الله لا بتأثير
 الافلاك والكواكب التي يعيدها بعض المشركين لان نسبة
 تأثيرها في ذلك واحدة لا تختلف

القسم الثاني

وان تعجب فمجب قولهم انذا كنا ترابا اننا لفي خلق جديد
 الآيات الى قوله تعالى

الله يبدط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا
 وما الحياة الدنيا في الآخرة الا متاع

« ١ »

ذكر أنهم يستبعدون أن يبعثوا بعد ان نفى أجسادهم

وأنهم يطلبون أن يعجل لهم هذا اليوم الذي يبعثون فيه
 ويذوقون ما أعد لهم من العذاب فيستمجلون ذلك العذاب
 ولا يستمجلون الحسنة من النصر والفوز الذي يكون لهم أن
 آمنوا أو يطلبون أن لم يعجله لهم أن يأتيهم بآية تدل على أنه صادق
 في إنذارهم به . وقد اجاب عن هذا بجوابين اولهما أن الله
 يعلم كل شيء يعلم ما تحمل كل اثنى وما تفيض الارحام وما
 تزداد الخ . فإذا تفرقت اجزاء الميت فهو يعلم أين تفرق
 ويقدر على جمعها . وثانيهما أن الله قادر على ان يعجل لهم
 ذلك العذاب ولكن ارادته قضت ان لا يغير ما يقوم حتى
 يغيروا ما بأنفسهم ولا يرجي صلاحهم . واذا أراد الله بقوم
 سوء فمن ذا برده أو يقدر على دفعه من آلتهم وهو الذي
 بيده أمر البرق والرعد والصواعق ونحوها من آلات
 العذاب يصيب بها من يشاء (وم يجاولون في الله وهو
 شديد المحال)

« ٢ »

ثم معنى في بيان كمال قدرة الله وعجز آلتهم فذكر ان
 الله هو الذي يدعى فيجيب اما آلتهم فلا يستجيبون لهم

بشيء كمن يدعو الماء ليبلغ فاه وهو جمد فلا يجيب . وأنه
يسجد له من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم
بالندو والاصال دون آياتهم الخ
ثم ضرب مثلا للايمان والشرك البصر والعمى والنور
والظلمة والماء والزبد الذي يطفو عليه ثم يذهب جفاء ويبقى
الماء الذي ينفع الناس في الارض . فلا يمكن ان يستوى
الايمان والشرك ولا المؤمن والكافر . فالؤمنون الذين
استجابوا الربهم اهم الحسنى وزيادة والذين لم يستجيبوا له
ينالون من العذاب ما لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا انفسهم به الخ وانما يبسط لهم الرزق في الدنيا
لانه لا تعلق له بالايمان والكفر (الله يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في
الآخرة الا متاع)

القسم الثالث

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله
يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب

الآيات الى آخر السورة

ذكر أنهم طلبوا أن يأتيهم بمعجزة غير القرآن وقد
أجابهم عن هذا بأربعة اجوبة أولها ان الاضلال والهداية
من الله لا بالآيات التي يقترحونها . فالذين أراد الله ضلالهم
لا يؤمنون به ولو أجيبوا الى ما اقترحوا . والذين أراد الله
هدايتهم يكتبون بمعجزة القرآن وتطمئن به قلوبهم
ثانيها ان الله قد أرسله في أمة تختلف في حالها ومزاجها
عن الامم التي خلت من قبلها . فلا تناسبها الامعجزة القرآن
الذي يتلوه عليهم ليمجزم بالفصاحة التي امتازوا بها عن غيرهم
من الامم التي أتت اليهم معجزات رسالهم من جنس ما امتازوا
به . وهذا القرآن الذي لا يرضون به لو أن قرآن سيرت به الجبال
أو قطعت به الارض أو كلسم به الموتى لم يكن غيره . فاذا لم
يرجعوا عن تكذيبه فان الله يسلط عليهم المؤمنين فتذهب
سراياهم الى ديارهم أو الى الديار القريبة منها فتختطف منهم
وتصيب من مواشيتهم حتى يأتي وعد الله بالنصر التام فيأخذهم
كما اخذ من قبلهم ممن كانوا يستهزئون برسالهم بعد أن
أمل لهم . وأنهم بعد ذلك في الآخرة عذابا اشق مما ينالهم

في الدنيا وللوّثمين ما وعدهم الله من الجنة (تلك عقبي الذين اتقوا وعقبي للكافرين النار)

ثالثها ان ذلك القرآن يعرف انه من عند الله اهل الكتاب ويفرح به من آمن منهم وينكر بعضه عنادا من لم يؤمن منهم لان فيه من ابطال عبادة الاصنام ما لا يمكنهم ان ينكروه ورابعها ان الله انزله حكمة عربية ظاهرة وانما ينكرونها عنادا ويطلبون غيرها من الآيات اتباعا لاهوائهم التي لا يصح للنبي ان يتبعهم فيها وقد ارسل الله قبله رسلا كانوا بشرا مثله وما كانوا يأتون الا بالآيات التي يأذن بها الله لا التي يريدونها اقوامهم . وان لا آيات العذاب التي يطلبونها اجلا مكتوبا لا تتقدم عنه وقد يأتي بعضها في حياة النبي ويأتي بعضها بعد وفاته . وقد ظهرت علاماتها بتسليط المؤمنين على الكافرين يأتون ارضهم فيقتضون من اطرافها وسيعلم الكفار لمن عقبي النار (ويقول الذين كفروا لست مرسلنا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)

سورة ابراهيم

سميت هذه السورة بذلك لما فيها من ذكر ابراهيم
ويقصد منها ما يقصد بالسورة السابقة من الدعوة الى الايمان
بالقرآن ولهذا افتتحت بمثل ما افتتحت به تلك السورة وتنقسم
باعتبار هذا الغرض الى ثلاثة اقسام اولها في اذارهم من
الكفر به بعذاب الآخرة . وثانيها في ذكر بعض ما جرى
للأمم السابقة بتكذيب رسالها لانذارهم به بعد اذارهم
بذلك . وثالثها في تهوين امرهم على النبي وبيان انه سيحبط
اعمالهم كما احبط أعمال من قبلهم

القسم الاول

الكتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات
الى النور
الآيات الى قوله تعالى
(ونما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) الآية
ذكر وظيفة القوآن وانه لا غرض له الا هدايتهم .
وحدوهم من عذاب الآخرة التي يستحبون الدنيا عليها .

وبين لهم ان هذه كانت وظيفة كل رسول مع قومه
يبعث اليهم بمثل هذا القرآن ليهديهم « فيضل الله من يشاء
ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم »

القسم الثاني

ولقد ارسلنا موسى بآياتنا اذا اخرج قومك من الظلمات

الى النور

الآيات الى قوله تعالى

يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو

بميت ومن ورائه عذاب غليظ

ذكر لهم قصة موسى مع قومه ونبههم الى انباء من قبلهم من قوم
نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم كانت آياتهم رسالهم بالبينات
فيردون أيديهم في أفواههم ويكفرون بما أرسلوا به ويشكون
في وجود الله الذي يدعونهم اليه وهو فاطر السموات والارض
ويقولون لهم انتم بشر مثلنا فلم تمازونا بالرسالة علينا . ثم
آذوهم وحاولوا إخراجهم من أرضهم فاهلكهم الله واسكن
رسله الارض من بعدهم . وهكذا يخيب كل جبار عنيد (من
ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه) الآية

القسم الثالث

مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كره ناد اشتدت به الريح
في يوم عاصف لا يتذكرون مما كسبوا على شيء
الآيات الى آخر السورة

(١)

لما فرغ مما تقدم شرع يهون عليه أمر قومه ويبين
لأن الله سيحبط أعمالهم كما أحبط أعمال من قبلهم وينصره عليهم
ثم بين له أن الذي خلق السموات والارض قادر على هذا
يل أن يشأ يذهبهم ويأت بخلق جديد ثم بيئهم اليه فيقول
ضعفأؤهم الذين استكبروا هل انتم مغنون عنا من عذاب
الله من شيء وقد كنا لكم تبعاً فيعتذرون اليهم بأن الله لم
يشأ هدايتهم ولو شاء لاهتدوا وهدوهم أما الشيطان الذي
أضاهم فيقول لهم لا تلوموني ولوموا انفسكم ما أنا بغيثكم من
عذاب الله وما انتم بغيثي انى كفرت بما أشركتمونى من قبل
ان الظالمين لهم عذاب أليم (وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بأذن
ربهم يحييهم فيها سلام)

(٢)

ثم ضرب مثلاً للمؤمنين وثبات امرهم وللـكافرين
وحبوط أعمالهم فجعل المؤمنين كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها
في السماء فلا يخشى عليهم من شيء . وجعل الكافرين كشجرة
خبيثة اجتثت من فوق الأرض ليس أصل ولا عرق ومالها
من قراد (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)

(٣)

ثم بين أنهم يستحقون ذلك لأنهم بدلوا نعمة الله
كفراً . فقد أسكنهم الله مكة التي دعاها إبراهيم بالامن وسعة
الرزق وأن يجنبها عبادة الاصنام فعبدوها وجعلوا لله أنداداً
ليضلوا عن سبيله فليتمتعوا فان مصيرهم الى النار . وليقم المؤمنون
بالصلاة لله وينفقوا مما رزقهم الله الذي خلق السموات
والارض . . . « وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها ان الانسان لظالم كفار »

(٤)

ثم ذكر دعاء إبراهيم لاهل هذا البلد تفصيلاً بعد

الإشارة السابقة اليه وختمه بقوله « ربنا اغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب »

(٥)

ثم بين للنبي ان الله ليس بغافل عما يعمل أولئك
المشركون وانما يؤخرهم ليوم تشخص فيه ابصارهم الخ فيجز بهم
الله بما كسبوا ان الله سريع الحساب « هذبلأغ للناس ولينذروا
به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر أولو الألباب »

سورة الحجر

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة أصحاب الحجر
فيها . والغرض منها التنويه بشأن القرآن أيضا . وينقسم
ما جاء فيها إلى مقصدين وخاتمة . فالمقصود الأول في التنويه
بشأن القرآن ونحو يفهم من التكذيب به وتصيير النبي على
استهزائهم به كما صبر غيره من الرسل على استهزاء شيع الأولين
بهم . والمقصود الثاني في بيان اخبار تلك الشيع وما جرى لهم
بسبب تكذيب رسالهم . والخاتمة في ان ما حصل لتلك الشيع
سيحصل مثله لأولئك المشركين

(المقصد الاول)

التي تلك آيات الكتاب وقرآن مبين
الآيات الى قوله تعالى

لا يؤمنون بها نصب وما هم منها بمخرجين

(١)

ذكر ان القرآن الذي انزل اليهم من البيان بحيث
لا ينكره الا جاحد وانه سيأتي يوم يودون فيه لو كانوا قد
آمنوا به . ثم أمر النبي ان يتركهم يأكلون ويتمتعون ويلهون عما
قدر لهم في كتاب معلوم (ما سبق من أمة أجهلوا وما يستأخرون)

(٢)

ثم ذكر أنهم استهزؤا بالنبي حين أنذرهم بهذا ورموه بالجنون
وطلبوا منه أن يأتيهم بالملائكة دليلا على صدقه . فاجابهم بأن ذلك
لا يكون الا عند حصول الفائدة وقد علم الله انهم لا يؤمنون
اذا أنزلوا . ثم أشار إلى أن تلك السفاهة عادتهم من قديم إذ
لم يرسل رسولا في شيع الاولين الا كانوا به يستهزئون .
وكذلك اراد الله ان يسلك هذا القرآن في قلوب هؤلاء
المشركين مقرونا بالاستهزاء فلا يؤمنون به ولو فتح الله

عابهم يا ابا من السماء فظلوا فيه يعرجون « لقالوا انما سكرت
ابصارنا بل نحن قوم مسحورون)
« ٣ »

ثم ارشدهم الى ما هو اهدي من انزال الملائكة من
خلق البروج في السماء وتزيينها للناظرين ومن بسط الارض
وانبات كل شئ وموزون فيها ومن خلق الانسان من
صلصال من حمأ مسنون وخلق الجن قبله من نار السموم .
ثم ذكر كيف خلق الانسان « آدم » من صلصال تفصيلا
لذلك الاجال . وكيف امر الملائكة بالسجود له فوجدوا الا
ابليس ابي أن يكون من الساجدين . وكيف سلطه الله على
من اتبعه من الغاوين الذين أعد لهم جهنم وجعل لها سبعة
ابواب لكل باب منهم جزء متسوم . أما المتقون ففي جنات
وعيون « لا يسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين »
المقصد الثاني

نبيء عبادي أني انا الغفور الرحيم
الآيات إلى قوله تعالى
فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون

ذكر في هذا تفصيل ما أجله سابقا من اخبار شيع
الاولين بمد تمهيد ذكر فيه انه الغفور الرحيم وان عذابه هو
العذاب الاليم ليعلم ان ما صاب تلك الشيع من العذاب لا قسوة
فيه لان الله كما انه غفور رحيم ذو عذاب اليم . فهو رحيم
بعباده المؤمنين . وذو انتقام شديد على الكافرين فشرح قصة
رسل الله مع ابراهيم وقد بهتهم الله لاهلاك قوم لوط
الخ الخ . وقصة اصحاب الالبكة مع نبينهم شعيب . وقصة اصحاب
الحجر مع نبينهم صالح وقد كذبوا به فاخذتهم الصيحة مصيبين
(فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون)

الخاتمة

وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان
الساعة لا آتية فاصفح الصفح الجميل
الآيات الى آخر السورة

ذكر ان اليوم الذي انذرهم به فاستهزؤا لا بد من
اتيانه لانه لم يخلق السموات والارض الا بالحق وبدونه
يكون خلفها باطلا . ثم امر النبي ان يصفح عنهم بعد هذا
ولا ينظر الى ما تمعوا به في الحياة بعد ان اعطاه خيرا من

ذلك سبعا من المثاني والقرآن العظيم . وان ينفذهم عذرا
كالذي انزله على المقتسمين الذين اقتسموا القرآن فجعلوا بعضه
سحرا وبعضه شمرا كالوليد بن المغيرة وغيره . وان لا يضيق
صدره بهم بل يجب ان يحمده الله ويكون من الساجدين
(واعبد ربك حتى ياتيك اليقين)

سورة النحل

سميت هذه السورة بذلك لذكر بعض أحوال النحل
فيها . ويراد منها اثبات الاصول الثلاثة « التوحيد والنبوة
والمعاد »

وقد افتتحت هذه السورة بآيتين تضمنتا هذه الاصول
الثلاثة كتمهيد لما ذكر بعدها في اثباتها ومجادلة المنكرين لها
واختتمت بالاشارة إلى أن مناجاة النبي في ذلك هو دين
ابراهيم الذي هو بمنزلة الاصل لغيره من الاديان . وتعليم
النبي آداب الدعوة والمجادلة التي ذكر بعضها في هذه السورة
وبهذا ينقسم ما جاء فيها الى تمهيد ومقصد وخاتمة يعنى في كل
منها بما أشرنا اليه

النهي عن

أنى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون
« الآيتين »

تضمنت هاتان الآيتان ثلاث قضايا بمقدار تلك
الاصول الثلاثة . اولها ان يوم القيامة أصبح قريبا وأمره
ببهد الله فلا يصح لاحد استعجاله لانه لا شريك له في افعاله
الذانية أن النبوة حق والله ينزل الملائكة بالروح على من
يشاء من عباده . والثانية أن الله لا اله غيره

المقصد

خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون
الآيات الى قوله تعالى

ثم ان ربك الذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد
ذلك وأصلحوا أن ربك من بعدها لغفور رحيم

« ١ »

ابتدأ بذكر ادلة التوحيد في خلق السموات والارض
وفي خلق الانسان من نطفة وفي خلق الانعام للبشر وفيها
حرف لهم ومنافع كثيرة . وفي خلق الخيل والبغال والحمير

ليركبوها وتكون لهم زينة . ثم اشار الى ان ذكر تلك الادلة يراد به قطع عذرهم والا فالهداية الى الطريق القويم من الله ولو شاء لهداهم اجمعين . واستأنف بهد هذا سرد تلك الادلة فذكر انزال الماء من السماء للشرب وسقي الشجر والزرع الى غير ذلك مما تفرد بخلقه ولا يصح معه ان يكون مثله في الالوهة من لا يخلق من اصنامهم . والله مع هذا يعلم باطن الانسان وظاهره وهي لا تعلم شيئاً بل هي مخلوقة له وجماد لا يشعر بشيء . فالله واحد لا اله غيره وانما اصرأوا تلك الكفار على الشرك لانهم لا يؤمنون بالآخرة وينكرون كل ما يخالف اهوراهم ويستكبرون ان يرجعوا الى قول غيرهم « لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين »

٢

ثم ذكر من شبهاتهم على النبوة طعنهم على ما انزل على النبي بأنه من اساطير الاولين ولم يجب عن هذه الشبهة هنا لانه اجاب عنها في سورة اخري بل اقتصر على تهديدهم على ذلك بأنهم يحنون على انفسهم به ويحملونها من الاوزار ما تنوء به ثم لا يكون الا ان الله يعذبهم عليها في الدنيا ويخزيهم يوم

القيامة . اما الذين قالوا فيها انزل الله خيرا فلهم في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة . فلا ينتظر أوائك المشركون أن تأتيهم الملائكة
بذلك العذاب أو يأتي أمر الله به كذلك فويل للذين من قبلهم
« فأصـابهم سيئات . اعملوا وحق بهم ما كانوا يستهزئون »

(٣)

ثم ذكر شبهة ثانية وهي انهم قالوا ان الایماز الذي يدعو اليه
والكفر الذي ينهى عنه بشيئة لله ولا معنى مع هذا الارسال
نبي . وقد اجاب عنها بأن وظيفة النبي لتبليغ والارشاد آمن
من يباغهم أو لم يؤمنوا . وقد بعثه الله الى هذه الامة كما بعث
في كل أمة رسولا لارشادها فمنهم من اراد الله هدايته فاهتدى
ومنهم من حقت عليه الضلالة فلم يمكن أن يهتدى (ان تحرص
على هدايتهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين)

(٤)

ثم ذكر أنكارهم للمعاد وشبهتهم فيه أنه لا يمكن بعث
الشخص بعد موته وتفرق أحزائه . وقد اجاب عن هذا
بجوابين أولهما أن البعث لا بد منه ليتبين الحق من الباطل
ويعلم الكافرون انهم كانوا كاذبين . وثانيهما أن الله قادر على كل

شيء يقول للشيء كن فيكون . ثم ذكر جزاء المؤمنين بعد الكافرين وأن لهم في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أكبر منها . فهم «الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون»

« ٥ »

ثم استأنف الكلام في النبوة فذكر شبهة أخرى وهي أنهم قالوا إن الله لا يبعث رسولا من البشر . وقد أجاب عنها بأن الله لم يبعث قبل النبي الأرجال مؤيدين بالبينات والذبر ثم هدم على هذا المكر والكيد بأموار أربعة أن يخسف بهم الأرض الخ الخ . . . ولقد نظرهم إلى قدرة الله على ذلك بخضوع كل شيء له في السموات والأرض (من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون)
الرد على التنوية

(١)

ثم استأنف الكلام في التوحيد والرد على التنوية وعباد الملائكة بمد أن رد فيما سبق على عباد الأصنام فهي الأوابن ان يتخذوا الهين اثنين إله الخير وإله الشر لان كل شيء في السموات والأرض لله فما بهم من نعمة فمنه وما يصيبهم من

شر لا يتوجهون في كشفه إلى غيره . وذم عباد الملائكة وتمثيلها
على اطلاقهم لها البجائر والسوائب وجماعها بنات لله في حين
انهم يكرهون البنات لانفسهم (والله المثل الاعلى وهو
العزير الحكيم)

« ٢ »

ثم بين ان هذا ظلم وفسمة ضيزى ان يجعلوا الله ما يكرهون
من البنات . وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى من
البنين . وان الله لم يشأ ان يؤاخذهم عليه في الدنيا وانما أجل
ذلك الى الآخرة . وان مثل هذا الجهل حصل من أسلافهم
قد بما مع رسالهم اذ بعثهم الله اليهم فتولوا عنهم وزين لهم الشيطان
اعمالهم « فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم . وما انزلنا عليك
الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة
لقوم يؤمنون)

(٣)

ثم ذكر دلائل التوحيد ردا على الفريقتين من انزال الماء
من السماء لاحياء الارض بعد موتها : ومن خلق الانعام ليستقيمهم
من البانها إلى غير ذلك مما من الله به على عباده من النعم التي

يكفرون بها . ويعبدون من دون الله مالا يملك شيئاً منها .
مما يجعلونه مثيلاً لله الذي يتنزه عن الامثال . فهل يكون
من لا يملك شيئاً كمن يملك رزقاً حسناً ينفق منه سرا وجهراً .
وهل يكون الا بكم الذي لا يقدر على شيء وانما يتوجه
لاي شيء بخير كمن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم . وكيف
يكون له مثيل من آلهتهم وهو الذي يعلم غيب السموات
والارض ومنه الساعة التي اصبحت امرها كلمح البصر . وهو
الذي اخرجنا من بطون امهاتنا لانعلم شيئاً الخ لفاذا كفروا
به بعد هذا فقد جنوا على انفسهم اذ يعرفون نعمة الله ثم
ينكرونها ويكفرون بها فلينتظروا يوم نبعث من كل امة
شهيذا عليهم ثم لا يؤذن للكافرين في الكلام ولا يسترضون . . .
يوم نبعث من كل امة شهيدا عليهم من انبيائهم ويحيا بالذي
شهيذا على امة وقد قطع عذرهم ونزل عليه الكتاب (تبياننا
لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)

(٤)

ثم فصل هذا الاجال وبين كيف كان تبياننا لكل شيء
فذكر انه امر بالعدل ويندرج فيه كل الفروض . وبالا حسان

ويندرج فيه كل التوافق ومنها صلة الرحم . وانه نهى عن
الفحشاء وهو مقتضى القوة الشهوانية . وعن المنكر وهو مقتضى
القوة الغضبية : وعن البغى وهو مقتضى القوة الوهمية . فكان
بهذا جامعا لما يتصل بالتكليف فرضا ونفلا وما يتصل بالاخلاق
عموما وخصوصا . ثم امر بالوفاء بالعهد وهو اصل عظيم يندرج
تحتة كثير من الفروع . والعهد اما ان يكون بين الله والناس او
بين الافراد بعضهم مع بعض او بين امة واخرى فلا يصح لامة
قوية ان تنقض عهد امة ضعيفة لانها تخالفها في دين او غيره
فان هذا الخلاف بأرادة الله ولو شاء لجمع الناس امة واحدة
ثم نهاهم أن يعقدوا الايمان على عزم تقضها فتكون على دخل
وان يشتروا بها ثمنا قليلا لا يساوى ما عند الله لمن يفي بعهده
ووعده الذين يصبرون على عهدهم ان يجزيهم اجرهم بأحسن
ما كانوا يعملون (من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن
فلنجوينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون)

(٥)

ثم انتقل من هذا التفخيم للقرآن الكريم الى دفع
ما عندهم من شبهات يلقيها الشيطان في قلوبهم اذا نظر واقعهم ومهد

لهذا فأمر قارئه ان يستعيد بالله من الشيطان لتلايته
كما يتولى اولئك المشركين فيحول يده و بين الايمان به
بمثل هاتين الشبهتين. واولاهما انهم اذا رأوا آية تنسخ بأخرى
قالوا هذا من عند النبي جهلاً بحكمة النسخ. وقد أجاب عن هذا
بأن النسخ له حكمة يعلمها الله ولا يكون الا لمصلحة الناس
الثانية ان بعض المرتدين قالوا ان الذي يعلمه هذا القرآن
سلمان الفارسي . وقد أجاب عن هذا بأنه اعجمي لا يمكن
ان يأتي بهذا القرآن العربي . ولكن من لا يؤمن بايات الله
لا يهديه الله وله عذاب اليم . وهو الذي يكذب على الله لا
من يؤمن به . وهو الذي كفر بعد ايمانه قال كذب ليس يبعيد
عابه . وقد استثنى من هذا من اكره على الكفر وقابه مطمئن
بالايمان فليس هذا من شأنه الكذب . اما من شرح بالكفر
صدراً فمليه غضب من الله وهو في الآخرة من الخاسرين . وهذا
بخلاف الذين هاجروا من بعد ما اكرهوا على الكفر فان الله
يغفر لهم (يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفي كل
نفس ما عملت وهم لا يظلمون)

(٦)

ثم ضرب الله لتأييد استحقاقهم ذلك العذاب منلاقرية
كانت أمانة مطمئنة بأنهم رزقوا من كل مكان فقابلت ذلك
بالكفر فاذقوا الله لباس الجوع والخوف . وبعث فيها رسولا
من أهلها فكذبوه فاخذهم العذاب بما كانوا يظلمون . وهذا
الوصف يطبق على مكة وأهلها . ولذلك أمرهم أن يتركوا
ذلك الكفر ويقالوا ما أنعم الله على قريتهم بالشكر فياكلوا
مما رزقهم الله حلالا طيبا ما لم يكن ميتة أو دما أو نحوها .
ولا يقولوا هذا حلال وهذا حرام كذبا على الله فهو لم يحرم
من ذلك شيئا إلا على اليهود جزاء بغيهم (ثم إن ربك الذين
عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصاحوا أن ربك
من بعد الغفور الرحيم)

الخاتمة

أن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين

الآيات إلى آخر السورة

ثم ذكر أن ذلك الشرك وسجد التميم لم يكن دين إبراهيم

إبراهيم وأن الله لم يرسل إليهم هذا النبي إلا ليرجع بهم إلى

ملته ومنها تعظيم يوم الجمعة لأن يوم السبت لم يشرع إلا
لليهود ومع هذا تقضوا عهد الله واحلوا الصيد فيه . ثم أمر
النبي أن يجادلهم بالحسنى وان لا يشتمد عليهم اذا ظفروا بهم
ويصبر على اذامهم ولا يكن في ضيق مما يمكرون « ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون »

سورة الاسراء

سميت هذه السورة بذلك لابتدائها بذكر قصة الاسراء . وهي
واردة ايضا في بعض الغرض الذي سيمت له السورة السابقة
مع تصرف في المعاني والالفاظ . وتتميز في سوق الادلة ودفع
الشبه . وقد جاء اولها في دعوتهم الى الايمان بالنبي . وآخرها
في دفع بعض ما عندكم من شبه في نبوته أو فيما جاء به . وبهذا
تنقسم هذه السورة الى قسمين

القسم الاول

سبحان الذي اسرى بعبده ايلا من المسجد الحرام

الآيات الى قوله تعالى

نسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وأن

من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان
حليماً غفوراً

(١)

ذكر في دعوتهم الى الايمان بالنبي امرين اولهما انه اسرى
به ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى واخذ بهم في
النهار بما شاهدته فيه وهذه معجزة من جنس المعجزات التي
يطلبونها . ثم ذكر فضل المسجد الاقصى وانه بارك حوله
واتى موسى التوراة فاهتدوا بها واستقام لهم الامر حتى ضلوا
فسلط الله عليهم قوماً اولى بأس شديد جاسوا خلال ديارهم
وخرّبوا ذلك المسجد . ثم سلطهم عليهم ثانياً بسوءا وجوههم
ويدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما عملوا فتنبراً
(تسمى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين
حصيراً)

(٢)

تزيهاً انه جاء بالقرآن الذي يهدي للتي هي اقوم مما تهدي اليه
التوراة . ومع هذا يدعون ان يحطر الله عليهم حجارة من السماء
او غير ذلك من آيات العذاب والشر وعندهم آية الليل والنهار

تغنيهم عن تلك الايات وقد فصل الله كل شئ ومحتاجون اليه
في معرفة الحق تفصيلا لا عذر لهم معه . فكل انسان
مسؤول عن اعماله ولا تزر وازرة وزر اخرى . وما كان الله
يُعذبهم بما يطلبونه حتى يبيث اليهم رسولا ويكثروا من
الفسق والفجور فيدمرهم تنميرا . فان الله يتبع للكافر اذا اراد
المعاجلة حتى يكفر فسقه : ومن اراد الآخرة وسعى لها سكر
له سمعه . فيمد كلا منهما بما يريد وما كان عطاء الله محظوداً
(أنظر كيف فضانا بعضهم على بعض والآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلاً)

(٣)

ثم فصل ذلك الاجمال المذكور في قوله ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم . فنذكر من الاحكام التي جاء بها التوحيد
ونحرىم عبادة الاصنام . والاحسان الى الوالدين والاقرباء
والمسكين وابن السبيل في غير تبذير ولا تقنير . ونحرىم قتل
الاولاد خشية الفقر ونحرىم الزنا والقتل والاسراف في القصاص
واكل مال اليتيم . ووجوب الوفاء بالعهود الى غير ذلك مما اوحى
الى النبي من الحكمة . ومنه نحرىم اتخاذ آخرة الله من

الملائكة التي يقولون عنها انها بنات لله وابطلت عبادتهم في السورة
السابقة وانما اعيد ذلك هنا لان القرآن من سنته تصرف
البيان للناس ليعتظوا ويتذكروا . ولو كان مع الله الهة من
تلك الملائكة لتنازعوا معه مع ان كل شئ خاضع له من السموات
الارض والارض ومن فيهن (وان من شئ الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حلما غفورا)

القسم الثاني

واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا

الايات الى آخر السورة

قلنا ان القسم الثاني في دفع الشبه وقد مهد لذلك ببيان
سببها وهو عدم فهمهم للقرآن ونفودهم من التوحيد واتباع
الذبي الذي كانوا يزعمون انه مسحور اختلط عليه عقله بعد
ان زعموا انه ساحر ، ضربوا له الامثال فضلوا فلم يمكنهم ان
يهتدوا الى سبيل في امره . ثم ذكر شبهتين اولاهما فيما جاء به من
البعث . وقد اجاب عنها بما اجاب ثم امر ان لا يقابل هؤلاء
المشركون على تلك الاسماء من رمى النبي بالسحر وتكذيبهم

له في البعث بمثلها بل يقولوا التي هي احسن منكم اعلم بكم ان يشأ
برحمتكم وان يشأ يمدكم فاذا اراد عذابهم فان اهلهم لا يستطيعون
ان يكشفوا عنهم لانهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه مثلهم
وان عذاب الله حقيق بان يحذره كل احد وما من قرية كافرة
الا يصيبها قبل يوم القيامة شئ مما منه (كان ذلك في الكتاب
مسطورا)

والذانية في رسالته وان ايس له معجزات كثيرة من
الانبياء . وقد اجاب عنها بان الله لم يرسله بتلك الآيات لانه
علم انهم يكذبون بها كما كذب بها الاولون الخ وكما كذبوه
حين اخبرهم بمصارعهم يوم بدر فصرعوا وحين اسرى به
ورآى من آيات ربه ما رآى فلم يؤمنوا وجعل الله هذه الرؤيا
فتنة لهم كما فتنوا بشجرة الزقوم أيضا فقالوا كيف تحرق جهنم
الحجر ويكون فيها شجر . وأيضا قدرأى ابليس من آيات
ربه ما رآى ومع ذلك امره بالسجود لآدم فمعى حسدا له
وهؤلاء المشركون يحسدون النبي فلا يمكن ان تؤثر فيهم
تلك الآيات

ثم ذكر ما يدل على قدرة الله على ارسال تلك الآيات

وأهلكهم بها من البحار التي خلقها لهم ولا يستغنون عن سير
السفن فيها فهو يقدر ان يغرقهم فيها ولا يجدون غيره ينجهم
من الغرق الخ ولكنه لم يرد ذلك رافة بهم بل كرههم وحملهم
في البر والبحر آمنين وفضاهم على كثير من خلقه في الدنيا
ويوم القيامة يدعو الله كل أناس مع نبيهم (فمن أوتى
كتابه يمينه فأوائك يقرأون كتابهم ولا يظالمون فتيلًا. ومن
كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأصل - بيلا)

ثم ذكر انهم كادوا يستفزون بالترغيب لى طلب تلك
الآيات عن القرآن الذي هو معجزته ايفترى على الله شيئًا
غيره يؤمنون به لولا ان ثبته الله كما ثبته على ما استعملوه معه
من الترهيب وقد كادوا يخرجونه من مكة لولا ان منهم الله من
اخرجه حتى أمره بالخروج. ولو انهم اخرجوه لاهلكهم الله كما
أهلك من قبلهم حينما اخرجوا رسلكم من ديارهم (سنة من قد
ارسلنا قبلك من رسلنا ولا نجد لسنتنا تحويلا)

ثم أمره ان لا يلتفت اليهم ويشغل بعبادة الله من الصلاة
والتوجه الى الله بالدعاء ليدخله اذا خرج من مكة مدخل صدق
ويخرجه مخرج صدق ويحمل له من عنده سلطانا نصيرا (وقل

جاء الحق وزهق الباطل انى الباطل كان زهوقا (ثم ذكر من فضل القرآن ما لا يصح معه ان يعدل عنه إلى تلك الآيات . فهو شفاء للناس ورحمة للمؤمنين ونعمة عظيمة والكن هؤلاء المشركين يجدون فضاها كما يجدون فضل النعمة إذا كانوا فيها . فإذا زالت عنهم يسوا من رجوعها اليهم . وكل من المؤمنين والمشركين يعمل على شاكلته ويفهم في هذا القرآن ما تسول له نفسه (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا)

ثم ذكر نهم سألوه عن ذلك القرآن (الروح) ما هو أشعر أم كهانة استنادا لما له في آياته . بأمرين اولهما انه من الله وما أتوا به من العلم الذي استعظروا لا قليلا بجانب ما لم ينزل اليهم . ومع هذا فلو شاء الله لذهب به ورد اليه تلك النعمة التي لم يعرفوا فضلها ولم يؤمنوا بها .

ثانيهما انه لو كان شعرا او كهانة لامكنهم ان يأتيوا بمثله مع انه لو اجتمع الاليس والجن على ذلك لعجزوا عنه « ولو كان بعضهم ابدض ظهيرا »

ثم ذكر ان الله لم يترك شيئا يمكن ان يهتدوا به إلى

الايان بذلك القرآن الا أتى به . ولكنهم اوا الا كفورا
وطالبوا غيره ان يفجر لهم من الارض ينبوعا او يكون له
له جنة من نخيل وعنب أو يسقط السماء عليهم قطعا الخ الخ .
وقد اجاب عن ذلك بثلاثة اجوبة . اولها انه ليس الا بشرا
رسولا لا يمكنه ان يأتي بها من نفسه ولا ان يتحكم بها على
ربه . وانهم ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا مع انهم
ليسوا ملائكة فيجب ان يكون رسولهم منهم . ومع ان الله
قد شهد له بالرسالة بما انزله اليه من الآيات التي هدى اليها
من اراد هدايته فكان من المهتدين . ومن أضله عنها فلا هادي
له عن دونه في الحياة ويوم القيامة ماواه جهنم كلما خبت
زيدت سميرا . ذلك جزؤه بأنه كفر بتلك الآيات وانكر
ان يبعث بعد ان يصير عظاما خلقا جديدا الخ .
ثانيها ان الله يعلم انه لو اعطاهم تلك الاشياء من
الانوار والعيون فكثرت بها امور المهم لبخلوا بها فلا فائدة
في اجابتهم اليها .
ثالثها ان الله اعطى موسى مثل تلك الآيات فلم يؤمن
بها فرعون فأغرقه ومن معه جميعا .

ثم ذكر من فضل القرآن ثانيا ما ذكر وانهم ان يؤمنوا به اولا
يؤمنوا فقد شهد بفضله من هو افضل منهم من الذين اوتوا
العلم من قبله . وانهم ان يدعوا الله او الرحمن او يسبوه كلما
سموا المسلمين بذكروته في صلاتهم^(١) ففلا الصفات الحسنى لا
غيرها مما يسبونه به (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له
شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيرا)

سورة الكهف

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة أصحاب الكهف
فيها . ويراد منها اظهار فضل القرآن الذي شغل الكلام فيه
فما عظمها من السورة السابقة ولكن بنوع آخر من البيان
فقد كان يعنى هناك باظهار فضل القرآن من حيث انه يهدى
لتنى هي اقوم ويشتمل على تلك الاحكام التي مرت الخ
أما هنا فيعنى باظهار فضله بتلك القصص المعجبية التي
ذكرت في هذه السورة . والتي - أله عنها كفار قريش بأيعاز

(١) هذا هو السبب في ذكر قوله ولا تجهر بصلاتك بعد
قوله ففلا الاسماء الحسنى

اليهود امتحانا لنبوته . فنزل بها القرآن تصديقا له
ولما كان ذلك هو الغرض من هذه السورة افتتحت
بالتنويه بشأن القرآن كما اختتمت بالتنويه بشأنه . وتشتمل
السورة باعتبار هذا على مقدمة وخاتمة ومقصد ذكرت فيه قصتان
هما قصة اصحاب الكهف وقصة ذي القرنين

المقدمة

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا

الآيات الى قوله تعالى

وانا لجاعلون ما عليها حسبيدا جرزا

ذكر أنه هو الذي أنزل القرآن على النبي كاملا في ذاته

لا عوج فيه لينذر الكافرين عامة عذابا شديدا . ويبشر

المؤمنين عامة بأن لهم أجرا حسنا . وينذر بمخاصة الذين قالوا

اتخذ الله ولدا . فاذا لم يكفهم هذا القرآن في الايمان به

بل طلبوا منه تلك القصص امتحانا له فلا يلبق به ان يحزن

لعدم ايمانهم وان كانوا اصحاب القوة والثروة . فانما هي زينة

وذخارف لا يلبق به الا ان يرفضها كما رفضها اصحاب

الكهف من قبله . وقد جعلها الله ليبلو العباد ايشكروها أم

يكفروها ثم ينهب بها وانا لجاعنون ما عليها صعيد جزاة

القصة الاولى

أم حسبت ان اصحاب الكهف الرقيم كانوا من آياتنا
عجبا

الآيات الى قوله تعالى

خالدين فيها لا يبغون عنها حولا

(١)

ذكر اجمالا كيف آووا الى الكهف ومكثوا سنين عددا
الى ان بعثهم الله ثم فصل ذلك الاجال فذكر انهم فتية آمنوا
بربهم قاموا بين يدي ملكهم فقلوا ربنا رب السموات والارض
ثم اعتزلوا قومهم الى الكهف هربا منهم فضرب الله على آذانهم
تلك السنين ثم بعثهم من نومهم وعثر عليهم قومهم فلما اعلمتهم الله
تنازعوا فيهم قال (الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا)

(٢)

ثم ذكر ان الذين سألوه عن تلك القصة سيذكرون له
فيهم امرين لا علم لهم بهما اولهما في عدم الذي تنازعوا فيهم
فقال بعضهم انهم ثلاثون بامرهم كلهم الخ . وقد أمر النبي أن

يحببهم عن هذا بأن الله اعلم بمددكم ما يملهم الا قليل . وانهي
ان يزيد عن هذا في جدلهم وان يستفتيهم فيه وان يقدم على شيء
من هذا او غيره حتى يأذنا . لله فيه ليكون على علم به فلا
يرحم بالغيب كما يرحم هؤلاء في تعيين ذلك المدد . وعسى
الله ان يهديه لا قرب من قولهم فيه رشدا

ثانيتها في مائة ايتهم في الكهف اذ قال بعضهم انهم لبثوا
فيه ثمانمائة سنة وزاد بعضهم تسعا عليهم وقل بعضهم غير ذلك
والله اعلم بما لبثوا « له غيب السموات والارض ابصر به
واسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك في حكمه احدا »

(٣)

ثم امر النبي ان يتلو هذه القصة ليتدبرها ويكون
كأصحاب الكهف فلا يحزن اذا لم يصدقه اغنياء قومه ويرضى
بفقرائهم الذين يدعون بهم بالغداة والعشي ولا يطيع فيهم
هؤلاء الا اغنياء الذين لا يذكرون لله ولا يهتدون امرهم فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر ان الله عادل لكافرين نار احوط بهم
سرادقها والمؤمنين جنات عدن تجري من تحتها الانهار نعم
الثواب وحسنت مرافقا . ثم امر ان يضرب لهم امثالا اربعة

توضح لهم ان الافخر لا يصح ان يكون بكثرة الاموال
بل بطاعة الله وعبادته . وان الواجب ان يتواضع الغني للفقير
والكبير للصغير ولا يتكبر عليه

واولها

مثل رحاب جمل الله لاجدهما جنتين من اعناب واحاطهما
بنخيل وجعل بينهما زرعا . فافتخر بهما على صاحبه وقال له انا
اكثر منك مالا واعز نفراً . وظن ان جنتيه ان تبيدا وان
الساعة لا تقوم . فقال له صاحبه اكرمت بالذي خالقك ولم تشكره
على ما اعطاك من جنتيك اللتين عسى ربي ان يؤتيني خيرا منها
ويرسل عليهما صواعق من السماء فتصبحا ارضا ملساء او
يصبح ماؤها غائراً فلن تستطيع له طلبا . وقد حقق الله ما قدره
فاهلك جنتيه فاصبح بقلب كفيه على ما انفق فيها ويقول
يا ليتني لم اشرك بربي احدا . ولم يجد من ينصره من دونه في
نكبته وشدته . وهكذا في كل النكبات تكون الولاية لله
الحق وهو خير ثوابا وخير عقبا .

ثانيها

مثل الحياة لدنيا كما انزله الله من السماء فتما به النيات حتى
اختلف بعضها ببعض ولم يلبث ان جف حتى تكسر النيات
واصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً .
فالحياة الدنيا سريعة الزوال . والمال والبنون منها فهي سريعة
الزوال مثلها . والاعمال الصالحة خير عند الله منها وفي يوم
القيامة اذ يحشر الناس كما خلقوا اول مرة لامال ولا ولد ولا
يجدون امامهم الا كتاب اعمالهم لا يتأدر صغيرة ولا كبيرة
الا احصاها « ولا يظلم ربك احداً »

ثالثها

مثل ابليس مع آدم اذ تكبر عليه وافتخر بأصله وعصى
امر ربه فلا يليق ان يقتدوا به في ذلك ويتخذوه وذريته
اولياء من دون الله الذي خلق السموات والارض ويوم
القيامة يدعونهم فلا يستجيبون لهم ثم يرون النار فيظنون
انهم واقفون فيها ولا يجدون عنها مصرفاً . كيف يجدونه وقد
صرف الله لهم في القرآن كل مثل ليؤمنوا فابوا الا المناء
وطلبوا غير هذا ليؤمنوا ان تأتيتهم سنة الاوايز . او بأنبيهم

المذاب عيانا. مع ان الرسل لم يبعثوا الا مبشرين ومنذرين وانما
يجادل هؤلاء المشركون بالباطل لئلا يحضوا الحق لذي جاءهم واتخذوا
آياتنا التي هي احسن مما طلبوه هزوا. ولو يؤخذهم الله بما
كسبوا لمجل لهم ذلك المذاب الذي طلبوه وانكته غفور ر ذو
رحمة لم يشأ ان يعاجلهم به بل جعل لهم موعدا لن يجذوا من دونه
موثلا « وتلك القرى اهلكنا ثم لما ظلموا وجعلنا امامهم
موعدا »

رأيها

مثل موسى وتواضعه مع علو منصبه لرجل من عباد
الله كان اول منه وانكته على علم من ربه . وقد قص الله كيف
طلبه مع فتاه حتى اتى به واتبعه على ان يعلمه مما علمه ربه
فرضي بذلك على ان لا يسأله عن شيء حتى يتحدث له منه
ذكريا ثم ركب في السفينة فخرقها فمال له موسى أخرقتها
لتفرق اهلها ونسى ما اتفقا عليه الخاتم اخبره عن السر في خرق
السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار بدون اجر وأنه ما فعل
ذلك الا عن امر الله (وما فعلته عن امرى ذلك تأويل ما لم
تسطع عليه صبرا)

القصة الثانية

هي قصة ذي القرنين الذي مكن الله له في الارض حتى
بلغ مغرب الشمس فوجدها كأنها تغرب في البحر (عين حمئة)
وبانح مشرقها فوجدها تشرق على قوم عراة وبلغ بين السدين
فوجد من دونها قوما لا يكادون يفقهون قولا . فقالوا له أن
يا جوج وما أجوج مفسدون في أرضهم وطلبوا منه ان يجعل
بينهم وبين هؤلاء القوم سورا فبناها لهم ثم تركهم بموج
بعضهم في بعض الى ان ينفخ في الصور فيجمعهم الى الحشر
ثم تعرض جهنم على الكافرين الذين اعرضوا عن القرآن
وطلبوا تلك القصص واتخذوا من دون الله اولياء فكانوا
أخسر الناس أعمالا . أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم
جنات الفردوس خالدين فيها لا يبدلون عنها حولا
ثم نوه بشأن القرآن في الختام كما نوه به في ابتداء
السورة فذكر بعد ان حكى تلك القصص العجيبة ان هذا
قليل من كثير . ولو كان البحر مدادا لكلمات الله لنفد قبل
ان تنفذ ولو جرى بمثله مددا . ولا يمكن ان يكون
هذا من عند النبي لانه ليس الا بشرا مثلهم اوحى اليه ان

ألهمهم الله واحده فن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا

سورة مريم

سميت هذه السورة بذلك لذكر قصة مريم فيها. والغرض
منها بيان ما كان عليه رسل الله وأوليائه في نواضعهم لما يتلى
عليهم من آيات ربهم وعدم تكبرهم عليها كما يتكبر هؤلاء
المشركون ولا يوضون أن يؤمنوا إلا أن يطرد النبي الفقراء
من أصحابه. والمغنى في ذلك القصص العجيب تقريبا السعة
كلمات الله التي ينفد البحر لو كان مدادا لها ولا تنفذ. وبهذا
تنقسم هذه السورة إلى قسمين أولها في ذكر قصص اولئك
الانبياء والاولياء تفصيلا. وثانيها في تذييلها بما يوافق الغرض
للقصود من ذكرها

القسم الاول

كهيمن ذكر رحمة ربك عبده زكريا
الآيات إلى قوله تعالى (ورفعا مكانا عليا)
ذكر في هذا المقام ست قصص أولها قصة زكريا. ثانيها

قصة مريم . وثالثها قصة ابراهيم مع أبيه وقومه . ورابعها قصة
موسى . وخامسها قصة اسماعيل . وسادسها قصة ادريس الذى كان
صديقاً نبياً (ورفعناه مكاناً علياً)

القسم الثانى

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم
(الآيات إلى آخر السورة)

(١)

ذكر أن هؤلاء الانبياء والاولياء كلهم كانوا إذا تتلى
عليهم آيات الله خروا سجداً وبكياً . ثم أتى من بعدهم خلف
أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يعمد بهم الله إلا من
تاب وآمن فأولئك يدخلون الجنة التى يورثها الله من يشاء
من عباده . وينزلون فيها ما يشاؤون بأذن ربهم وما كان الله لينسى
أعمالهم فاذشك انسان فى ان يحيا بعد الموت ليلاقى هذا الجزاء
فليذكر أن الله خلقه من العدم ولم يك شيئاً الخ

(٢)

ثم ذكر أن هذا الخلف بمد ان اضاع الصلاة واتبع
الشهوات اذا تتلى عليه آيات الله شمع بأنفه مغترا عما عنده

من مال وأثاث وكم أهلك الله قبله من أقوام كانوا أغني منه
وانما يمد لهؤلاء حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون أنهم دون
من يشمخون عليهم باهواهم « والباقيات الصالحات خير عند
ربك ثوابا وخير مردا »

(٣)

ثم ذكر أن منهم من يبلغ في الغرور ويظن ان له خير
الدنيا والآخرة ان كانت كأنه أطلع الغيب أو اتخذ عند الرحمن
عهدا . وأنهم اتخذوا من دون الله الهة بزعمون أنها ستكون
لهم يوم القيامة عزا مع أنها ستكفر بعبادتهم وتكون عليهم
ضداً ولكن الشياطين هي التي توسوس لهم بهذا مع
أن الله يعلمهم ثم يحشرهم فلا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند
الرحمن عهداً . وأنهم قالوا أيضا أن الرحمن ولدأ من اللائكة
التي يعبدونها فلا يمكن أن يهان يوم القيامة من يعبدها .
وهذا قول منكر تكاد السموات والارض تتشقق منه وتمزق
الجبال هدا . وما من معبود لهم يوم القيامة من اللائكة
وغيرها الا ويأني الله عبدا . ثم يحضر كل واحد من هؤلاء
المشركين وليس معه من تلك المعبودات احد أما المؤمنون

فسيكونون بخلاف هذا ويجعل لهم الرحمن وداً يشفع به
بعضهم في بعض

ثم ختم السورة بأن هذا القرآن الذي يحتمرونه إذا يتلى
عليهم من الله وتيسيره انزله على النبي ليبشر به المتقين وينذر
به قوماً لداً « وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من
أحد أو تسمع لهم ركزا »

سورة طه

سميت بذلك لا بتدائها بهذا الاسم وهو في لغة عك
بمعنى رجل ووراد منها بعد أن ذكر في السورتين السابقتين
أن أشرف المشركين لم يؤمنوا بالنبي تسليته على عدم إيمانهم به وأنه
لا يصح ان يشقى بذلك ولهذا افتتحت بذكر ذلك كما اختتمت
بأمره بالصبر على اذم دلالة على ان هذا هو المقصود منها. وقد
ذكر بين الفاتحة والخاتمة قصة موسى بما فيها من ضروب الفتن والمحن
التي حصلت له ليكون في هذا تسلياً للنبي بعد تلك التسلية
ثم ذيلت بأصناف من الوعيد تسلية له أيضاً وتهديداً لهم
ليرتدعوا ويؤمنوا. وبهذا تنقسم هذه السورة إلى أربعة اقسام

كل قسم منها في ناحية من تلك النواحي التي اشرنا اليها

القسم الاول

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى

الآيات الى قوله تعالى

الله لا إله الا هو له الاسماء الحسنى

ذكر أنه لم ينزل عليه القرآن ليشقى بعدم إيمانهم به بل
ليذكرهم به آمنوا أولم يؤمنوا وهو ليس الا تنزيلا ممن خلق
الأرض والسماوات العلى... (الله لا إله الا هو له الاسماء الحسنى)

القسم الثاني

وهل أتاك حديث موسى

الآيات الى قوله تعالى

انما ألهكم الذي لا إله الا هو ومع كل شيء علما

ذكر قصة موسى وكيف كان اصطفاً الله له ثم قص
ما جرى له مع فرعون الى ان أغرقه الله . وما جرى له مع
قومه بعد هذا ومع السامري الذي أضل بني اسرائيل في
غيبه موسى النخ

القسم الثالث

كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك
من لدنا ذكراً

الايات الى قوله تعالى

ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى

(١)

ذكر أن هذا القرآن الذي يقص عليه تلك الانبياء ما هو
الا ذكر عظيم من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا
وقد يقولون اذا صح انا نحشر وتنقضي الدنيا فأين تذهب
تلك الجبال العظيمة . والجواب ان الله ينسفها نسفا . وبه تذبذب
يدعون الى الحشر فيجيبون وتخضع الوجوه للحى القيوم
ويخيب الظالمون ولا يخاف المؤمنون ظلما ولا هظما . ثم ذكر
أن الله أنما يفصل لهم الوعيد هذا التفصيل ليتقوا والا يحدث
لهم ذكرا . يعنى حدثا عظيما أمر النبي بانه ظاره فقال (ولا تمجل
بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه ولى ربي زدني علما)

(٢)

ثم ذكر تأييدا لهذا أن الله عهد الى ادم ان يجعل الجنة

سكناله بشرط أن لا يأكل من الشجرة التي نهاه عنها والا
يخرجه منها فلما أكل منها أخرجه علي عظم منزلته عنده لانه
لا يخلف وعيده كما لا يخلف وعده فمن يتبع هداه فلا يضل
ولا يشقى . ومن يمرض عنه فإنه يعيش في الدنيا ميسرة صالحة
ويوم القيامة يحشر اعمى . وكذلك يجزى الله كل من اسرف
ولم يؤمن بايات ربه من هؤلاء المشركين وغيرهم ولو انهم
نظروا فيمن أهلكهم الله من قبلهم لاملوا ان ذلك الحدث
الذى يوعدون به لا بد أن يحصل لهم (ولو لا كلمة سبقت من
ربك لكان لزاما واجل مسمى)

القسم الرابع

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع

الشمس وقبل غروبها

الايات الى آخر السورة

امره بالصبر بعد ان سلاه وان يستعين بالله وتسبيحه في
تلك الاوقات ليفوز بالرضا . ونهاه ان يمد عينيه الى ما تمتم به
من الاموال والاولاد فا عند الله خير وابقى . وأمره أن يقوم
بوظيفته من وعظ أتباعه وحثهم علي فعل الصلاة وهو يتكفل

بوزقه ويجمل العاقبة له على أعدائه (والمأقبة للتقوى)
ثم ذكر أنهم يطلبون آية من آيات العذاب الذي أوعدهم به
وامر النبي بانتظاره كأن عذاب الله لم يحصل لمن قبلهم ولم
تأتهم أخباره في الصحف الأولى. ولو أن الله أهلكهم بعذاب
قبل أن يرسل إليهم لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا
ينذرننا بذلك العذاب فننتبه له ولانذل ونخزي (قل كل متر بص
فتر بصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى)

سورة الانبياء

سميت هذه السورة بذلك لأنه اجتمع فيها على قصرها
من أخبار الأنبياء ما لم يجتمع في غيرها. وقد جاء في آخر
السورة السابقة أن أولئك المشركين افترحوا على النبي آية
عذاب وكان فيما أجابهم عن اقتراحها أنها آية فليرتقبوها
فسيعلمون أي الفريقين على الصراط السوى، فجاءت هذه
السورة وأولها في بيان قرب يوم ذلك العذاب وحسابهم فيه
وأخرها في تعيين ذلك الصراط السوى وأنه التوحيد الذي
جاء به الأنبياء الذين ذكروهم في هذه السورة. وهي تنقسم

الى قسمين كل منهما في ناحية من تينك بهذا الناحية

القسم الاول

اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون

الايات إلى قوله تعالى

ونضع الموازين القسط ليوم القيامة (الآية)

(١)

ذكر انه قد اقرب اليوم الذي يحاسبون فيه وهو الذي
انذروهم به في السورة السابقة ومع هذا فهم ماضون في غفلتهم
وكما جاءهم النبي بما يذكرهم من القرآن قال بعضهم ليمض
انه بشر مثلنا وما قرآنه الا سحر وتمويه . والله يعلم انه ليس
كذلك وهو يعلم حقائق الاقوال في السماء والارض وهو
السميع العليم . ثم قالوا انه أضغاث احلام أو افتراء من
نفسه أو هو شعر وتزويق فيجب ان يأتيهم بآية مثل التي
أتى بها الرسل من قبله . وقد أجاب عن هذا بأن الامم التي
جاءتهم تلك الآيات لم يؤمنوا بها فكذلك هم . وبأنه اذا
كان بشرا مثلهم فكذلك كان الرسل الذين كانوا ينذرون
بمثل ما ينذر به فصدقهم الله وعده وأهلك المسرفين من

قومهم . فكم قسم من قراهم التي كانوا يركضون منها عند
نزول العذاب فيقال لهم لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم
لعلكم تسألون . وهناك يقولون يا ويلنا اننا كنا ظالمين (فما
ذالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيذا خا مدين)

(٢)

ثم ذكر أن ذلك كان عدلا لانه لم يخلق السماء والارض
وما بينهما عبثا . بل لغاية من سار في طريقها نجا ومن ضل
عنها هلك . ولو كان يخلق شيئا للهو لاتخذ ذلك ممن عنده
من الملائكة ولم يتخذه من الانس . وكيف يجوز عليه اللهو
وهو الذي يقذف بالحق على الباطل فيزهقه وله من في
السموات والارض ومن عنده من الملائكة لا يستكبرون
عن عبادته ولا ينقطعون (يسبحون الليل والنهار لا يفترون)

(٣)

ثم ذكر أن هؤلاء الملائكة لا يمكن ان يكونوا شركاء لله
أو اولادا يلمو معهم والا لاختلجوا معه وفسد ملكه وانما
هم عباد مكرمون . وحالهم في الوعد والوعيد كغيرهم من
العبيد فن يقل منهم اني اله يجزي بجهنم كما يجزي غيره .

وكيف يكون لله شريك او ولد وهو الذي فصل السماء
من الارض واثنا قبل ملتصقتين الخ (وهو الذي خلق
الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون)

(٤)

ثم رجع الى أصل الكلام فذكر انه لا يمكن ان يخلد
احد لا النبي ولا هؤلاء المشركون الذين يستهزئون به على
ذمه آلهتهم وهم أحق بالاستهزاء لانهم يكفرون بالله الذي
لا إله غيره : واذا كان الامر كذلك فلا بد من ذلك العذاب
الذي ينذرهم به عاجلا او آجلا ولكنه الانسان خلق من
عجل ولو يعلمون ما أعد لهم فيه ما استعجلوه . ولقد استهزأ من
قبلهم به فحاق بهم ما كانوا به يستهزئون . وان الله هو الذي
يحفظهم بالليل والنهار فاذا اراد عذابهم منع عنهم حفظه فلا
ينهم منه آلهتهم وقد سلط المسلمين عليهم ينقصون من
ارضتهم فلا يمكن ان يكونوا هم الغالبين

(٥)

ثم ذكر انه ينذرهم بذلك العذاب عن وحى فلا يمكن
ان ينجوا منه ولكنهم صم لا يؤثر فيهم انذار به مع انهم

اذ اسمهم قليل منه يقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين (ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة) الآية

القسم الثاني

واقعد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكر المتقين
الآيات الى آخر السورة

جرت الكلام في هذا القسم في مقامين اولهما في سرد
قصص الانبياء الذين ذكرهم والثاني في تذييله ببيان الغرض منه
وقد ذكر في المقام الاول عشر قصص اولها قصة
موسى وهرون . ثانيها قصة ابراهيم مع قومه . ثالثها قصة
لوط . رابعها قصة نوح . خامسها قصة داود وسليمان . سادسها
قصة ايوب . سابعها قصة اسماعيل وادريس وذى الكفل
وثامنها قصة يونس صاحب الحوت : وتاسعها قصة زكريا .
وعاشرها قصة مريم التي احصنت فرجها « فنفضنا فيها من
روحنا وجمالناها وابنها آية للعالمين »

المقام الثاني

ثم ذكر أن هذه الطوائف من الانبياء وهي الارومة
التي ينتمون اليها كانت أمة واحدة على دين واحد هو دين

التوحيد وانما تفرقوا من بعدهم والى الله متصيرهم. فمن يتمسك
بهذا الدين ويعمل من الصالحات فلا كفران لسميه. ومن
يذخر عنه ممن اهلكهم الله في الدنيا على تكذيبهم برسالم
فلا بد من رجوعهم الى الله حتى اذا حشروا اليه عند قيام
يا جوج وما جوج وهو من اشراط الساعة نادوا بالويل مما
يرون وشهدوا انهم كانوا ظالمين. وهكذا يكون ما ارهؤلاء
المشركين وما يعبدونه من دون الله ان يكونوا حصب جهنم
هم لها واردون. اما المؤمنون فيعبدون عنها ولا يحزنهم الفزع
الا كبر يوم تطوي السماء ويميد الله الخلق كما بدأه. وكيف
لا يكون هذا وذلك وقد كتب الله في الزبور من بعد التوراة
ان الارض برئها اولئك المؤمنون فليتدبر المشركون قبل ان ينجز
الله وعده وفي هذا كفاية لقوم يعلمون. وليعلموا ان الله لم
يرسل النبي الا رحمة لهم ولا يريد منهم الا ان يسلموا لله وحده
فان آمنوا فيها والا فانه قد اعذر اليهم ولا يدري اقرب ام
بعيد ما يوعدون فان الله هو الذي يعلم وقته وحده ولعل ابهامه
فتنة لهم ومتاع الى حين « قال رب احكمم بالحق وربنا الرحمن
الستمان على ما تصفون »

سورة الحج

سميت هذه السورة بذلك للكلام على الحج فيها . وقد ختمت السورة السابقة تهديد المشركين بالفزع الاكبر يوم القيامة . وبتسليط المسلمين عليهم في الدنيا بالقتال والاستيلاء على البلاد . فجاءت هذه السورة وأولها في شرح ذلك الفزع الاكبر وان من يعرفه لا يلبق به أن يجادل في الله بغير علم أو يمهده على حرف . وآخرها في أذن المؤمنين بالقتال لفتح تلك البلاد التي اخرجوهم منها وصدوهم عن دخولها لاداء مناسكهم فيها . فهي تنقسم إذاً إلى قسمين كل قسم منها في ناحية من تينك الناحيتين

القسم الاول

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم

الآيات إلى قوله تعالى

وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد

(١)

أمر الناس أن يتقوا ربهم لينجوا من فزع يوم القيامة

اذ تزلزل الارض زلزالا عظيما تذهل منه كل مرضعة عن
رضيعها (وتري الناس سكارى وما هم بسكارى واكلن عذاب
الله شديد)

(٢)

ثم ذكر انه مع هذا يوجد من يجادل في الله وينكر ذلك
البعث بغير علم مع ان الله خلقهم من تراب ثم من نطفة الخ
فهو قادر على بعثهم كما قدر على خلقهم . ومنهم من يجادل في الله
ليضل الناس عن سبيله . ومنهم من يتناقق فيعبد الله على شك
من العاقبة فان اصابه خير اطمان به . وان اصابته فتنة لقلب
على وجهه . يدعو من دون ما لا يضره وما لا ينفعه (يدعو
لمن ضره اقرب من نفعه لبيئس المولى وليئس المشير

(٣)

ثم ذكر المؤمنين بعد الكافرين وجزاءهم في ذلك اليوم
وانصرهم في الدنيا وان ظن الشاكون في أمرهم أنهم ان
يذهبوا . وأن الله يجمعهم في ذلك اليوم مع اليهود والصابئين
والنصارى والمجوس والمشركين ويفصل بينهم بعد ان اختصموا
في ربهم . فالكافرون تقطع لهم ثياب من نار والمؤمنون يدخلهم

الله جنات يحاون فيها من أساور من ذهب . . . (وهدوا الى
الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد)

القسم الثاني

أن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام
الآيات الى آخر السورة

(١)

مهدي للاذن في قتال المشركين ببيان انهم يصدون المسلمين
عن المسجد الحرام مع ان الله جملة للناس سواهم وانهم يصدون
فيه بعبادة الاصنام مع ان ابراهيم حين بناه امر ان لا يعبد
فيه غير الله وان يشرع للناس الحج اليه ليشهدوا منافع لهم
ويذكروا اسم الله ويطعموا البائس الفقير . وكذلك يعظمون
حرمات الله فيه فلا يستبيحون صيده والانعام حلال لهم
فيه إلا ما استثنى منها في سورة المائدة وكذلك يمتنعون الاوثان
والنلبية لها ويعظمون شعائر الله وهي هدايا الحرم يمتنعون
بها الى أن يحل نحرها . . . (ان ينال الله لحومها ولادماؤها) الآية

(٢)

ثم ذكر ان الله لا يترك المؤمنين ممنوعين من حرمه بل

يدافع عنهم هؤلاء الشركيين ويأذن لهم في قتالهم ولولا أن
يدفع الله أهل الباطل بأهل الحق لهدمت بيوته
من المساجد وغيرها . ثم وعدهم بالنصر وبببر انهم
يستحقونه لانه ان مكن لهم في الارض (اقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة وأصروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة
الامور)

(٣)

ثم ذكر انهم أن يكذبوه في هذا الوعد فقد كذبت
قبلهم قوم نوح وغيرهم فأهملهم الله ثم اخذهم فأهلك قراهم
وأنهم لبرونها في اسفارهم ولا يتعظون لعمى قلوبهم وأنهم
لا تسمى الابصار (ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)

(٤)

ثم ذكر انهم يستعجلونه به وان يخلف الله وعده وأن
أملى لهم . فالذين آمنوا لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا
في ابطال آيات الله اولئك اصحاب الجحيم . وهذا كما سعى
بعضهم عند ما نزلت سورة النجم فقرأ النبي (أفرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى) فقال هو تلك الغرائيق للعلی

وانشفاعتهم لترتجى . واللقى ذلك في وسط قراءة النبي بحيلة
شيطانية ظن المشركون معها ان هذا من القرآن ففرحوا
وهكذا كان لكل رسول شيطان من الانس اذا قرأ القى في
قراءته مثل ذلك فينسخ الله ما يلقيه ويحكم اياته والله عليم
حكيم . وانما يفعل الله ذلك ليختبر به مرضى القلوب وانه لهادى
الذين آمنوا الى صراط مستقيم . ويترك غيرهم في
في شكهم بما يوعدون به حتى يأتهم بغتة في يوم يكون الامر
فيه لله يحكم بينهم فالؤمنون في جنات النعيم (والذين
كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين)

(٥)

ثم ذكر جزاء المهاجرين في ذلك اليوم وخدم تشريفا
لهم فوعد بأنه يرزقهم رزقا حسنا ويدخلهم مكة مدخلا
يرضونه وهو الذى يولج الليل فى النهار ويعلم انهم على الحق
واعداؤهم على الباطل وهو الذى ينزل من السماء ماء ... (وهو
الذى احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور)

(٦)

ثم ختم السورة بقطع اطاعهم فى عدول النبي عن دعواته

وترك قتالهم فبين ان لكل امة شريعة لا يمكن الا ان تعمل بها
ونهى النبي ان يضعف في مجادلتهم او ينقطع عن دعوتهم فأن ابوا
الا العناد فليس عليه الا أن يحذرهم - ما يعملون مما يعلم الله به
ويكتبه لهم الى يوم القيامة (الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء
والارض ان ذلك في كتاب ان ذلك على الله يسير)

(٨)

ثم مضى على سبيل التمرين قليلا في تلك الدعوة فبين
أنهم يعبدون من دون الله ما لا دليل لهم عليه ثم لا يرضون بما
يأتينهم من الايات البيّنات على ان الله لا اله غيره ثم ضرب لهم
مثلا بين لهم فيه أن آلهتهم لا تقدر على خلق الذباب الخ
ثم ذكر انه يصطفى لدعوته من يشاء من الملائكة والناس بما
يعلمه من حالهم واثمه ترجع الامور . ثم امر المسلمين ان
يستعينوا عليهم بالله وان يمضوا في جهادهم الذي اذن لهم فيه
بعد ان اختارهم لنصرته واعطاهم دينها لاجرج عليهم فيه هو دين
ابراهيم ابراهيم . . . (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا
بالله هو مولاكم فهو المولى ونعم النصير)

سورة المؤمنين

سميت هذه السورة بذلك لافتتاحها ببيان صفات المؤمنين التي بها يفلحون على اعدائهم بعد أن اذن لهم في قتالهم في السورة السابقة . وقد ذكر فيها بعد هذا أخبار الاولين الذين كذبوا رسالهم فأهلكهم الله وأن اولئك المشركين سيغلبون مثلهم وبهذا تنقسم هذه السورة إلى ثلاثة أقسام

القسم الاول

قد أفصح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
الآيات الى قوله تعالى (وعليها وعلى الفلك يحملون)

بين الصفات التي بها يفلح المؤمنون على اعدائهم وهي ستة أولها الخشوع في الصلاة الخ : وأن أصحاب تلك الصفات هم الوارثون « الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون »

ثم ذكر من نعم الله ما يؤيد كد القيام بتلك التكليف فبين انه خلق الانسان من سلالة من طين الخ ثم خلق لهم الانعام فيها منافع كثيرة ومنها يأكلون (وعليها وعلى الفلك يحملون)

القسم الثاني

ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله

الآيات الى قوله تعالى

يا أيها الرسل كلوا من الطيبات « الآية »

ذكر من قصص الاولين قصة نوح مع قومه ثم قصة
قرن انشاء الله بعدهم « عاد أو ثمود » . ثم قصة قرون جاءت
بعد هؤلاء قرنا بعد قرن . ثم قصة موسى مع فرعون وقومه
ثم قصة عيسى مع أمه وكيف آواها الى ربوبه ذات قرار ومعين
وقال لهما « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات » الآية

القسم الثالث

وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون

الآيات الى آخر السورة

ذكر أن هذه الطوائف التي اهلكها الله وهي ارومتهم
التي ينتمون اليها كانت واحدة في الشرك الذي ذهبت فيه
مذاهب مختلفة كل حزب بما لديهم فرحون . فما حصل لهم
بسببه سيحصل لهؤلاء المشركين وانما هم غافلون يحسبون
ان ما يمدهم الله به من مال وبنين خيرات يعجل لهم بها وليست
الا استدرأجا لهم . وانما الخيرات ما يسارع فيه المؤمنون
من خشية الله والايمان بآياته ونحو ذلك من الاعمال التي

لا يكافهم الله الا بما في وسمهم منها والمشركون في غفلة
عنها « ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون »

ثم ذكر انه قد اخذهم بطرف من ذلك العذاب في سنى
القطط فصرخوا منه ولجوا الى النبي في دفعه ونسوا
انه كان ينذرهم به في كذبون ويستمزنون . كأنهم لم يتدبروا
امره او كان النبي جاءهم بما لم يأت به احد من قبله او كأنهم لم
يعرفوا انه ذلك الرسول الذي بشروا به النخ . ولو ان الله غفر
لهم كل هذا وكشف عنهم القطط لعادوا الى طغيانهم كما اخذهم
بالعذاب يوم بدر فلم يستكينوا اليهم حتى اخذهم بذلك القطط
ففتح عليهم (بابا ذا عذاب شديد اذا هم فيه مبلسون)

ثم ذكر ان الله الذي لم يستكينوا له بعد هذا العذاب
هو الذي انشا لهم السمع والابصار وغيرها من النعم التي لم
يشكروه عليها فابتلاهم بذلك القطط ليعرفوا قدرها . وهو
الذي خلقهم ثم يحشرهم اليه لينذروا كل العذاب الذي اوعدوا
به . وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار فيقدر
على ذلك الحشر كما قدر على هذا ولكنهم لا يعقلون . بل
يقولون ائنا همتنا وكناتوا ابا وعظاما ائنا لمبعوثون . مع ان

الله الارض والسماوات ويده كل شيء ولا شريك له من ولد
او غيره « عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون »

ثم امر النبي ان يدعو ربه ان ينجيه من ذلك العذاب
اذ الحق بهم : واخبره بأنه قادر على ان يريه ما يمدحهم من عذابهم
فاذا كانت هذه عاقبتهم فليحتمل اذا هم ويستعذ بالله من
الشیطان ان يؤثر عليه فيغضب عليهم فيسندمون اذا جاءهم
الموت ويتمنون أن يردوا ليعملوا من الصالحات ما فاتهم
فلا يجابون ويتركون في برازخهم الى ان يبعثوا فيحاسبوا
فمن ثقت موازينه فأوائك هم المفلحون ... (وقل رب اغفر
وارحم وأنت خير الراحمين)

صحيفة خطأ صواب صحيفه صواب خطأ صواب
١٢٣ أخلق هم أخلق بهم ١٢٨ فتكون فتكوى
في السطر الاول من (صحيفة) ٢٠٢ تأخير كلمة (بهذا) عن
أوله وفي السطر الخامس تكرير كلمة (ليوم)

الأقوال الحسنة

في حسن نظم القرآن

الجزء الثالث



« تأليف »

✦ عبد المنعم الصمبدي ✦



✦ مطبعة جريدة الكمال لصاحبها نجيب يوسف * بطنطا ✦

سورة النور

سميت هذه السورة بذلك لانه ذكر فيها نور الله وضرب له ذلك المثل المعجيب الآتى . وقد ذكر في اول السورة السابقة بعض احكام الايمان العملية على سبيل الاجمال : وذكر فيها حفظ الفروج الاعلى الازواج أو ما ملكت الايمان . وفي هذه السورة ذكر ما يتعلق بحفظ الفروج من أحكام الزنا والقذف وغيرهما والسورة كلها بمد براءة المطلع سياف واحد في بيان تلك الاحكام

براعة المطلع

سورة انزلناها وفرنناها وانزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون
هذه الآية كبراعة مطلع هذه السورة بين فيها ان الغرض منها بيان شيء من الفروض والاحكام العملية في آيات بلغت على درجات البيان

الاحكام

الزانية وانزلنا فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
الآيات إلى آخر السورة

حكم الزنا

ذكر فيه حكمين وجوب جسد كل من الزاني والزانية
وتحريم زواج الزاني على المؤمنة العفيفة وزواج الزانية على
المؤمن العفيف

حكم القذف

القذف اما للاجنبيات وأما للزوجات فقاذف الاجنبية
ان لم يتم اربعة شهود على زناها يجلد ثمانين جلدة الخ وقاذف
زوجته اذا لم يكن معه اربعة شهود على زناها يلاعنها فيدوا
بإمانه حد القذف عن نفسه : وتدرأ بإمانها حد الزنا عن
نفسها. وهذا من فضل الله ورحمته بهما (وأن الله تواب حكيم)

حديث الافك

ولما فرغ من بيان حد القذف ذكر حديث الافك
المروف لان حد القذف بل هذه السورة نزلت بصدده وبسببه
ويراد منها تحديد علاقه الرجل بالمرأة دفعا لمثل تلك الريبة
التي كاد المسلمون يفتنون بسببها ؛ ولما نزلت هذه الآيات
في براءة عائشة حلف ابو بكر لا ينفق على مسطح بن اثثة
لانه كان من قاذفيها ؛ وكان ينفق عليه لعرايته وفقره ؛ فنزل

فما نزل في ذلك الحديث انتهى عن مثل هذا (ولا يأتل
أولو الفضل منكم والسعة ان يؤثروا اولى القربى) فرجع ابو
بكر الى الاتفاق عليه ؛ وانتهى الكلام في ذلك الحديث
بقوله تعالى (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) الآية

آداب البيوت

نهى عن دخول بيوت الغير قبل الاستعلام عن أهلها
والسلام عليهم والاذن منهم وأباح دخول غير بيوت السكنى
بغير اذن كالخانات والرباطات

حكم النظر

أمر الرجال بغض البصر عن النساء وأمر النساء بمثل
ذلك وان لا يبدين زينتهن الا لازواجهن ونحوهم

انكاح الايامى

أمر بأنكاح الايامى ومن يصلح لتكاح من العبيد والاماء
وأمر من لا يجد مهورا ان يستعف حتى يغنيه الله . وأمر بمكاتبة
الارقاء وحرم اكرام الفتيات على البغاء طمعا في عرض الدنيا
(ومن يكرههن فان الله من بعدا كراههن غفور رحيم)

استط—راد

لما كانت تلك المادة من أقيح عادات الجاهلية وكان المنافقون
كعبد الله بن أبي بكر هون فتياتهم على عاداتهم أراد الله أن يقطع
بهم سياتف سرد الاحكام الى مقامين أولهما في بيان فضل
القرآن والاهتداء بآياته اليبينات وأن الله أنار به السموات
والارض وجعل نوره كمشكاة فيها مصباح الخ. وان الله يهدى
الى ذلك النور من أراد سعادته من رجال لانهم تجار قولا
يبيع عن ذكر الله . والذين لا يهتدون اليه أعمالهم كسراب ببيعة
أو كظلمات في بحر لحي (ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور)
وكيف يكون له نور وهو يرى كل من في السموات والارض
قد اهتدى اليه (كل قد علم صلواته وتسميته) وهو لم يهتد
اليه . كيف يكون له نور وهو يرى الله يسوق السحاب ثم
يجمع بين أجزائه حتى يترام بعضها فوق بعض الخ ويراد
بهذا كله تذكيرهم بأن هناك ما هو أهم من عرض الحياة الذي
يكروهون بسببه فتياتهم على البقاء

ثانيها في ذم أولئك المنافقين على اظهارهم الايمان والطاعة
فاذا نهوا عن ذلك الاكراه أو نحوه تولوا وهم معرضون . وقد

مضى في ذكر قبائحهم ماشاء ثم رجع الى سرد الاحكام
آداب الخدم ونحوهم

حرم عليهم فيما تقدم دخول البيوت بغير إذن وأباح
هنا لعبادتهم ومن لم يبلغ منهم الدخول بغير إذن الا في اوقات
الثلاثة وبيل الفجر النخ ثم نفي الحرج عن العميان
وذري العاهات في دخول البيوت والاكل منها لحاجتهم كما
يباح للانسان ان يأكل من بيته او بيت ابنه او نحوه

آداب الاجتماع

ذكر انه اذا جمع النبي المؤمنين لمهم لم يجز لهم ان يخرجوا
بدون اذنه ؛ وان الله ليعلم من يتسلل فيخرج في خفية من
النافقين ويحذرهم ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
(الا ان لله ما في السموات والارض قديم ما انتم عليه) الآية

سورة الفرقان

قد نوه بشأن القرآن في السورة السابقة و ضرب له
مثلا ذلك النور المجيب ثم أتى بعدها بهذه السورة لدفع
ما افتروا عليه وعلى النبي الذي جاء به ولهذا سميت باسمه وقد
جاء أولها في التنويه بشأنه ودفع افتراءاتهم عليه وأخرها في

تصبير النبي على آذام و هذا تنقسم هذه السورة الى قسمين

القسم الاول

تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً

الايات الى قوله تعالى

ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق واحسن تفسيراً

نوه بشأن القرآن و شان منزله الذي له ملك السموات والارض

ليس له فيه ولد أو شريك من آلهتهم الذين لا يخلقون شيئاً الخ

ثم ذكر لهم افتراءات خمسة أولها أن هذا القرآن من

عنده ويعينه عليه بعض أتباعه و ثانيها انه أساطير الاوابين

يحفظها له غيره بكرة و أميلا و ثالثها ان الذي جاء به يأكل

الطعام و يمشى في الاسواق و ليس معه ملك يصدقه و لا ما يغنيه

عن طلب المعاش من كنز ياتي اليه من السماء او نحوه و قد

اجاب عن هذا بأن الله أن شاء جعل له خيراً من ذلك جنات

و قصورا ولكنهم يكذبون بالساعة و يظنون أنه لا خير الا في

الدنيا و بأن الرسل قبله كانوا يأكلون الطعام و يمشون في

الاسواق مثله و رابعها انه لا وجه لنزول الملائكة به عليه دونهم

و قد اجاب عنه بأنه تعنت و بأن الملائكة لا تنزل على مثلهم بالوحي

بل يوم يرونهم لا بشر لهم ويقولون حجر مجبوراً الخ وخامسها
انه لم ينزل عليه جملة واحدة كما انزلت التوراة ونحوها وقد
أجاب عن هذا بأنه نزل مفرداً ليثبت به فؤاده وليدفع كل اعتراض
لهم في حينه (ولا يأتونك بمثل الاجتنالك بالحق وأحسن تفسيراً)

القسم الثاني

الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم أولئك شر مكاناً
الآيات الى آخر السورة

ابتدأ هذا القسم ببيان سوء عاقبتهم وانذارهم بما حصل
لأعداء الرسل من قباهم الى ان ذكر عدم اعتبارهم بما يرونه من
آثارهم واستهزاءهم بالنبي الذي يريد أن يضلهم في زعمهم (وسوف
يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً)

ثم ذكر للنبي جهلهم وان الله هو الذي مد الظل ولو
شاء لجعله ما كانا الخ وانهم يعبدون من دونه ما لا يضرهم ولا يفهمهم
الخ وانهم اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الخ
ثم ذكر حال عبادة المؤمنين بعدهم وانهم يحزون العرفة
خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً (قل ما يعبا بكم ربى لولا
دعواؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاماً)

سورة الشعراء

سميت هذه السورة بذلك لانه تكلم فيها على الشعراء
وانهم يتبعهم الغاوون . والغرض منها التنويه بشأن القرآن
مع تسليية النبي علي عدم ايمانهم به وهي تنقسم إلى قسمين

القسم الاول

طسم تلك آيات الكتاب المبين

الآيات الى قوله تعالى

وان ربك لهو العزيز الرحيم (الاخير)

نوه اجمالاً في ابتداء السورة بالآيات التي سيذكرها

فيها ونهى النبي ان يحزن لعدم ايمانهم بها وبين انه قادر على
ان ينزل عليهم آية من السماء فيأخذهم بالعذاب بعد ان لم تنفع
فيهم تلك الآيات

ثم سرد تلك الآيات وهي ثمانية اولها كونية يرونها
في الارض وما احدث الله فيها من كل زوج كريم . والثانية
تاريخية تتعلق بما جرى لموسى مع قومه . والثالثة تتعلق بما
جرى لابرهم مع قومه . والرابعة تتعلق بما جرى لنوح مع
قومه . والخامسة تتعلق بما جرى لهود مع عاد . والسادسة

تتعلق بما جرى له صالح مع ثمود . والسابعة تتعلق بما جرى
للوط مع قومه . والثامنة تتعلق بما جرى لشعيب مع اصحاب الايكة

القسم الثاني

وانه لتنزيل رب العالمين

الآيات إلى آخر السورة

أثبت ان الكتاب الذي يشتمل على تلك الآيات العجيبة
لا يصح لهم أن يشكروا في أنه من الله خصوصا بعد أن
بشرت به الكتب المنزلة قبله وعلم بصدقه علماء بني اسرائيل
الح ثم ذكر أنه ليس من جنس ما تلقى الشياطين على الكهان
والشعراء كما يزعمون لان مثل هذا لا يستطيعونه وهم معزولون
عن استماع كلام أهل السماء . . . ولأنهم لا يتنزلون الاعلى
كل افك ائيم من الكهان والشعراء الذين يتبهم الغاوون . . .
(الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كبيرا) الآية

سورة النمل

سميت هذه السورة بذلك لانه ذكر فيها ماجرى للنمل
مع سليمان ويقصد منها التنويه بشأن القرآن أيضا وينقسم
ما جاء فيها تحت هذا الغرض الى قسمين أولهما في التنويه

بشأن القرآن وذكر شيء من اخبار الاولين . وثانيهما في
تعقيبها بما يناسب الغرض من ذكرها

القسم الاول

طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين
الآيات الى قوله تعالى

وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين

نوه بآيات السورة والكتاب المشتمل عليها ووصفه
بأنه هدى وبشرى للمؤمنين ثم ذكر انه انه يلقاه من لذت
حكيم عليهم تمهيدا للاخبار التي سيذكرها ولا علم له من قبل
بها . واولها يتعلق بموسى . وثانيها يتعلق بدادود ابنه سليمان .
وثالثها يتعلق بصالح وثمود . ورابعها يتعلق بلوط مع قومه وقد
اراد قومه أن يخرجوه من قريتهم فامطرهم الله فساء مطر المنذرين

القسم الثاني

قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير

أما يشركون

الآيات الى اخر السورة

أمر النبي ان يحمد الله الذي أعطاه هذا القرآن وعزفه

أخبار هؤلاء الرسل وإن يسلم عليهم ويقر بأن الله الذي علمه
هذا خير مما يشركون الخ ثم ذكر أن القرآن يقص من تلك
الأخبار ما يجعله أهل الكتاب من بني إسرائيل وهو مع هذا
هدى ورحمة للمؤمنين. ولكن هؤلاء المشركين صم لا يسمعون
وعى لا يهتدون الخ ثم ختم السورة ببيان أنه ما مور بعبادة رب
هذه البلدة « مكة » وبتلاوة القرآن المنزل عليه فمن اهتدى
فإنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المذنبين (وقل الحمد لله سيريكم
آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون)

سورة القصص

سميت هذه السورة بذلك لأن معظمها وارد فيه وقد
جاء أولها في التنويه بالقرآن وذكر شيء من دوائع آياته
في قصة موسى مع فرعون. وآخرها في الاحتجاج بها على
أنه من عند الله ودفع ما عندهم من شبهه عليه

القسم الأول

طسم تلك آيات الكتاب المبين

الآيات إلى قوله تعالى

ولقد آتينا موسى الكتاب « الآية »

نوه بآيات السورة والكتاب المشتمل عليهما ثم ذكر قصة موسى مع فرعون الى ان انتهى الي تلك الآية

القسم الثاني

وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
الآيات الى آخر السورة

ذكر انه لم يكن مع موسى في جانب الطور الغربي اذ اترت عليه التوراة ولم يبرح مكة الى مدين التي جرت فيها بعض تلك الحوادث وانما هو قرآن يوحى اليه من ربه الخ . ثم ذكر لهم شبهتين عليه اولاهما انه لم يؤت مثل ما اوتي موسى الخ والثانية انهم يخافون من الايمان به والخروج على قبائل العرب ان يتخطفونهم من ارضهم . وقد اجاب عنها بأن الله قد اوجدهم في حرم آمن فلا يخاف عليهم . وبأن الله ينصرهم عليهم كما نصر من قبلهم واهلك اعداءهم وبأن ما يخافون عليه ان هو الا متاع الحياة الدنيا ولا يذكربجانب ما عند المؤمنين من الثواب وللـكافرين من العقاب يوم الآخرة اذ يناديهم الله ابن شر كائى الخ ثم ضرب لتهمين ما يخافون عليه من ذلك المتاع مثلا قارون وما اوتيه من الكنوز ففرح بها وآثرها مثلهم على

ما عند الله نخسف به وباداره الارض الختم ختم السورة بعد ان
فرغ من اثبات صحة القرآن بإرشاد النبي الى الاكتفاء بذلك
ونوكهم الى الله الذي هو أعلم بمن هو على الهدى ومن هو في
ضلال مبين . ثم ذكره بنعمة الله عليه بذلك الكتاب الذي
ما كان وجود ان ينزل عليه فلا يصح ان يظاهر أوئك المشركين
أو يدعو مع الله الها آخر (لا إله الا هو كل شيء هالك الا
وجهه له الحكم واليه ترجعون)

سورة المنكبوت

سميت هذه السورة بذلك لانه شبه فيها اعتماد المشركين
على آلهتهم باعتماد المنكبوت على بيتها . ويقصد منها تهوين
أمر الجهاد على الخائفين ان يتخطفوا من ارضهم اذا آمنوا
وتنقسم الى ثلاثة اقسام اولها في انه لا بد من ان يلاقى
المؤمنون في سبيل الا ان ما لقي غيرهم من قباهم . والثاني في
تهوين أمر أوئك المشركين عليهم والثالث في بيان ان الارض
لا تضيق بالمرء ودينه حتى يحجم او يرتد عنه

القسم الاول

ألم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون

الآيات الى قوله تعالى

فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصباً (الآية)
ذكر انه لا يترك لناس بعد الايمان بدون ان يتلهم
بالجهاد ونحوه كما ابتلى به من قبلهم ليعلم الصادق في ايمانه من
غيره الخ ثم قص ماجرى للمؤمنين الاولين مع اعدائهم وانهم
يترك احدا منهم حتى اخذه بذنبه (وما كان الله ليعظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون)

القسم الثاني

مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل المنكوبت

الآيات الى قوله تعالى

يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم (الآية)
لما ذكر ما حصل لاولئك المشركين الذين كذبوا رسالهم
ولم تغن عنهم شركاؤهم ضرب لهما مثلاً بيت المنكوبت الذي
لا يدفع عنها اذى من حرا او برد او غيرها تهوينا لاصرار المشركين
الذين يؤذون المسلمين الخ ثم امر النبي ان يتلو ما اوحى اليه
من اخبار اولئك الانبياء ليتسلى بها . والا يعامل من لم
يؤذه من اهل الكتاب مثل هؤلاء المشركين بل يجادلهم

بالتى هي احسن الا الدين ظلموا منهم فكثير منهم يؤمن بما
أنزل اليه ولا يؤمن به الا قليل من اهل مكة ويجحد به اكثرهم
فيعترحون عليه آيات غيره ولا يبالون بما يتراب على ذلك
من العذاب بل يستمعجون به الخ

القسم الرابع

يا عبادى الذين آمنوا ان ارضى واسعة فاي اى فاعبدون
الايات الى آخر السورة

ذكر ان ارض الله واسعة فمن يؤذى من المؤمنين في
بلده فليهاجر منها الى غيرها وان الله ليجازيهم على ذلك
ويؤتهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الانهار ولا ينسأهم
إذا هاجروا من ديارهم بل يرزقهم كما يرزق الدواب التى
لا تدخر شيئا للغد . فالله خالق السموات والارض ومسخر
الشمس والقمر يبسط الرزق لمن يشاء ويتقدر (يضيق)
يعرف ذلك الذين يشركون به كغيرهم ولكن اكثرهم
لا يعقلون . وما الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة
لهي الحياة ولو يعلمون لا تروها ورجعوا الى الله الذي يجمعون
اليه عند ركوب البحر وخوف الفرق وهو الذي جعل لهم

حرما آمنات يخطف الناس من حوله اقبيا لباطل يؤمنون وبنعمة
الله يكفرون (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وان الله لمع المحسنين)

سورة الروم

سميت بذلك لافتتاحها بذكرهم ويقصد منها تسليية
المسلمين حين احزنتهم انتصار الفرس على الروم وهم اهل
كتاب مثلهم فوعدهم بنصرهم عليهم تحقيقا لما وعد به من محق
الشرك ونصر المؤمنين : وتشتمل على مقصد وخاتمة

المقصد

الم غلبت الروم في أدنى الأرض

الآيات الى قوله تعالى

ونقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل (الآية)

وعد بنصر الروم على الفرس بعد ان غلبوهم تحقيقا لما
وعد به من محق الشرك وأن كان المشركون لا يصدقون
اغترارا بظواهر الحياة واقبالها عليهم وغفلة عن الآخرة
وما اعد لهم فيها ، ثم اخذ في تذكيرهم بآيات الله ليثبت أن لهم
مماذا ويبتل بها شركهم : فذكرهم بمخلق السموات والارض الخ

ثم امر النبي والمؤمنين ان يتمسكوا بالتوحيد (دين الفطرة)
ولا يكونوا من المشركين الذين يفرحون بما لديهم من امور
الحياة فاذا مسهم ضرر رجعوا اليهم حتى اذا كشفه عنهم
عادوا الى شركهم مع ان الله يسط الرزق لمن يشاء مؤمنا او
كافرا فلا يحق لهم ان يفرحوا به النخ ثم امره ثانيا ان يتمسك
بذلك من قبل ان ياتي اليوم الذي وعد المشركون به . وبهذا
رجع الى اصل الكلام ورجع الى تعداد آيات الله الدالة
على قدرته عليه الى ان ختم السورة بأن الله يضرب لهم
الامثال والادلة على ذلك وليكنهم لا يتأثرون لان الله طبع
على قلوبهم . . (فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفك الذين
لا يوقنون)

سورة لقمان

سميت بهذا لذكر وصاياها فيها اوية صدمتها التنويه بشأن
القرآن وآياته المشتملة على تلك الوصايا وقد افتتحها بالتنويه
بآيات القرآن وضم من يشترى هو الحديث بها النخ ثم
ذكر تلك الوصايا وهي في النهي عن الشرك والامر بطاعة
الوالدين النخ تكلم بمناسبة ذلك على التوحيد ونبه المشركين

الى ما سخره الله لهم في السموات والارض الخ ثم امرهم بتقوى
الله وان يخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده شيئا الخ

سورة السجدة

سميت بهذا لان فيها آية يسن سجود التلاوة عند قراءتها
ويقصد منها اثبات ان القرآن من عند الله نزله على النبي لينذروهم
به ويثبت لهم ان ربهم الذي خلق السموات والارض الخ
ويثبت لهم انه قادر على ان يبعثهم وان تفرقت اجزاؤهم في
الارض الخ وقد ذكر بعد هذا الذين يؤمنون بالقرآن وما
أعد لهم في الآخرة مما تقر به أعينهم . وذكر الذين يعرضون
عنه وما أعد لهم من العذاب الاذني (عذاب الدنيا) دون
العذاب الاكبر . وذكر ان عذابهم في الدنيا بأيدي المسلمين
جاء في كتاب موسى (التوراة) الخ ثم ذكر انهم سألوه متى
هذا الفتح (العذاب) فأجابهم بأنه اذا أتى لا ينفع الكافرين
أيمانهم ولا ينظرون (فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون)

سورة الاحزاب

سميت بهذا لانها نزلت بعد غزوة الاحزاب للكلام
عليها وعلى حوادث وقعت في زمنها أو قبله أو بعده بقليل .

ولما كانت اكثر احكامها تتعلق بالنبي ابتدأها بخطابه ثم مهد
لمقاصدها بأمر أولها نهيها عن طاعة الكافرين والمنافقين
لما كان منهم في غزوة الاحزاب. ثانيها ابطال التبنّي تهيدا لقصة
زينب وقد حكم بأنه لا يمكن ان يكون التبنّي ابنا كما لا يمكن
أن يكون الرجل قلب غير قلبه وكما لا يمكن أن تكون
الزوجة أما بقول زوجها لها أنت كأمي. ثالثها أن أزواج النبي
امهات المؤمنين تهيدا لتحريمهن عليهم رابعها ان الارث بالرحم
تأكيد الأبطال التبنّي

وقد تكلم بعد هذا على غزوة الاحزاب . ثم تكلم على
حادثة تخيير النبي نساءه بين الرضا بما يعطيهن من كسوة
ونفقة وبين تسريحهن اذا أردن الازيادة النفقة . ثم تكلم
على حادثة زينب وزيد زوجها وكان يدهي له . ثم تكلم على
حكم الطلاق قبل الدخول وحرم علي النبي أن يزيد على
زوجاته بعد ان وسم له في نكاح الحرائر والاماء وبنات عمه
وعماته الخ ثم تكلم على الحجاب وختم السورة بنهي المؤمنين
ان يؤذوا النبي بعد ان ذكر أنواعا من الايذاء بعضها منهم
قبل نزول الحجاب . وبعضها من المنافقين الذين كانوا يتبعون

في الطرق نساء المؤمنين. ثم امرهم بالتقوى والطاعة وهي الامانة
التي عرضها على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها
وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ...

سورة سبأ

سميت بهذا لانه ذكر فيها قصة سبأ ويراد منها اثبات
الساعة التي هددوا بها على ايداء النبي في آخر السورة السابقة
وقد افتتحها بحمد الله الذي له مافي السموات والارض وله
الحمد في الآخرة ثم ذكر لهم اعتراضات عليها أولها انهم قالوا
لا تأتينا الساعة الخ . ثانيها انهم لا يمكن ان يعيشوا بعد ان
يمزقوا كل ممزق وقد أجاب عن هذا بأن الله قادر على ذلك
وهم يرون آثار قدرته في السماء والارض وهو الذي سخر الجبال
والطير لداود والريح لسليمان وارسل على اهل سبأ سبيل
العرم . ثالثها انهم سألوا متى تقوم الساعة استبعادا لها وقد
أجاب عن هذا بأن لهم ميعاد يوم يقف فيه الظالمون عند
عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول الخ وقد استمر
الجدال معهم في هذا الى ان ختم السورة بأنه اذا جاء هذا
اليوم يحال بينهم وبين . ايشتهون (كما فعل بأشياهم من

قبل أنهم كانوا في شك مرئب)

سورة فاطر

براد من هذه السورة دعوة المشركين الى الله وتصديق
الذي وقد افتتحها بالحمد لله فاطر السموات والارض الخ ثم
ذكرهم بعذابه وحذرهم أن تغرهم الحياة أو يخدعهم الشيطان
عنه الخ وبين لهم ان الله قادر على بعثهم ليندوقوه كما يرسل
الرياح فتثير سحابا بالخ وكما خلقهم من تراب الخ وكما يولج
الليل في النهار الخ ثم ذكر لهم انه الغني وهم الفقراء وانه ان يشاء
يذهبهم ويأت بغيرهم وان انذاره انما يؤثر فيمن يخشى ربه
بالغيب الخ ولا يمكن ان يسمع هؤلاء الاموات الخ فكما
خلق الله الكائنات مختلفة في الوانها واشكالها كذلك لا يمكن
ان يخشاه من عباده الا من لانت طبائعهم من العلماء الذين
يتلون كتاب الله الخ ثم ذكر ما اعد لهم من جنات عدن وما
اعد للكافرين من نار جهنم وبين انهم يستحقون ذلك لانه
جعلهم خلائف في الارض فكفروا به ومن كفر فعليه كفره
ولا أنهم اقساموا بالله ائن جاءهم نذير ليؤمنن به فلما جاءهم
نفروا منه ومكروا به ولا يحق المكر الا بأهله كما حاق بمن

كان قبلهم وكانوا اشد منهم قوة الخ ولكنه يؤخرهم الى اجل
مسمي فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيراً

سورة يس

سميت بهذا لافتتاحها بهذا الاسم ويقصد منها اثبات
الرسالة وبيان الغرض منها وهو الانذار بعذاب الله الذي حق
عليهم . وقد ضرب لهم امثلة وآيات تدهمهم على قدرة الله عليه
واولها مثل اصحاب القرية الخ وثانيها آية الارض الميتة الخ
وثالثها آية الليل الخ ورابعها آية السفن تجري بهم في البحر
فان يشاء الله يفرقهم فلا ينقذهم غيره . ومع هذا اذا قيل لهم
اتقوا عذاب الله وانفقوا مما يرزقكم اعرضوا وقالوا متي
هذا الوعد وما هي الا صيحة واحدة تأخذهم فيرون ما أعد
لهم الى ان يقول الله هذه جهنم التي كنتم توعدون فيختم
على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم الخ وان ما يوعدون به
من هذا حقيقة لا خيال لان النبي لم يتعلم الشعر في حياته وما
ينبغي له الخ وخامسها آية الانعام خلقها لهم فلم يشكروه
عليها واتخذوا من دونه آلهة الخ وسادسها آية الانسان خلقه
من نطفة ومع هذا يستبعد ان يبغته بعد موته وهو الذي

أنشأه أول مرة وجعل من الشجر الاخضر نارا وخلق
السموات والارض واذا أراد شيئا قال له كن فيكون (فسبحان
الذي بيده ملكوت كل شيء وأليه ترجعون)

سورة الصافات

يراد منها تنزيه الله عن الشركاء والبنات واثبات قدرته
على بعثهم وأهلاكهم كما أهلك من قبلهم . وقد اقسم بالصفات
أن اللهم واحد الخ ثم ذكر انهم أضعف خلقا ممن خلقهم
من الشياطين الذين جرى ذكرهم فهو قادر على ان يبعثهم
وهم داخرون الخ ثم ذكرهم بمن ضل قبلهم من الاولين فأهلكهم
الله حين كذبوا رسالهم : ثم ختم السورة بمثل ما افتتحها به
فنزله الله عن البنات من الملائكة والجن التي ينسبها المشركون
وذمهم على ذلك ومدح المؤمنين الذين اخلصوا له فلا يمكن
أن يفتنهم عنه . ثم ذكر أنهم كانوا يقولون لو نزل علينا
كتاب كالأولين لكننا عباد الله المخلصين وانهم كفروا به
فسوف يعلمون الخ

سورة ص

يقصد منها اثبات الرسالة وقد اقسم بالقرآن انه رسول

ثم ذكر شبههم عليه واوطأ انه بشر وثانيها انه ساحر وثالثها
انه ينكر تعدد الالهة ويخالف بذلك المللة الاخرى (النصرانية)
ورابعها انه لا يمتاز عليهم حتى ينزل عليه القرآن من بينهم مع
ان الله هو الرازق يختص بذلك من يشاء . فان كان لهم في
الامر شيء فليرتقوا في الاسباب ليطلبوا امره . ثم ذكر انهم
سيهزمون كما هزم من قبلهم قوم نوح وعاد الخ ثم امره ان
يصبر عليهم ليكون له اسوة بالصابرين كداود وسليمان
وغيرهما ممن قص اخبارهم ليكون فيه ذكر له . ثم ذكر ما اعد
المتعين من نعيم وللطاغين من عذاب ليكون فيه ذكر آخر
ثم ذكر انه ما من اله الا الله الواحد القهار الخ جوابا عن الشبهة
الثالثة . وان القرآن الذي انكروا تنزيله عليه في الشبهة
الرابعة ما هو الا نبا عظيم يأتيهم بما لم يكن للنبي علم به من
خيار الملا الاعلى اذ يختصموت في امر آدم . ثم ذكر نهأ
بالاسألهم عليه اجرا وما هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه
يومئذ حين

سورة الزمر

سميت بهذا لقوله في آخرها (وسيق الذين كفروا إلى

جهنم زمرا) ويقصد منها اثبات التوحيد وأبطال الشرك .
وقد افتتحها بأن تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم فيجب
ان تخلص له العبادة ولا يعبد غيره ولو على سبيل الزلفى اليه
ثم استدل على أنه لا شريك له ولا ولد يعبد معه بأمر اولها
أنه خالق السموات والارض الخ ثانيها أنه هو الذى اذا مس
الانسان ضر أناب اليه الخ ثالثها انه هو الذى ينزل من السماء
ماء يخرج به ذرعا مختلفا الوانه . . . وأت في هذا الذكرى
لاولى الانبياء ممن شرح الله صدره للاسلام دون القاسية
قلوبهم من ذكر الله الذى نزل أحسن الحديث الخ رابعها ان
من يتخذ آلهة مثله كعبد فيه شركاء متشاكسون لا يمكنه
أن يرضيهم ومن يتخذ لها واحدا مثله كعبد خالص لرجل
ثم ذكر ان الله يحكم بين الفريقين فى هذا يوم القيامة وان
الله فيه الكفاية لعبده فلا يصح له ان يتخذ غيره فاذا خوفوه
بالذين يدعون من دونه فلا يصح له ان يخاف وهو ان
سألهم من خلق السموات والارض ليقولن الله . فهو اذا
اراده بضر لا تكشفه آلهتهم عنه الخ . خامسها أنه هو الذى
يقبض النفوس عند الموت وعند النوم فهو صاحب التصرف

وحده وليس لأهلهم شيء عنده حتى يتخذونهم شفعاء له
فالشفاعة لله جميعا له ملك السموات والارض الخ . ثم ذكر
أنهم مع اتخذهم آلهتهم شفعاء له اذا ذكر وحده اشماؤوا
واذا ذكرت من دونه اذا هم يستبشرون الخ . وان احدهم لا
يعرفه الا اذا مسه ضر فاذا خوله نعمة قال انما اوتيته على علم الخ
وسادسها انه خالق كل شيء ويده مقبلة السموات والارض
الخ ثم ذكر انهم ما قدروا الله حق قدره اذ يتخذون آلهة غيره
والارض جيمما قبضته يوم القيامة ... وتفخ في الصور لجمع الخالق
وحسابهم وسيق الكافرون الى جهنم زمرا وسيق الذين اتقوا
ربهم الى الجنة زمرا الخ

سورة المؤمن

سميت بهذا لانه ذكر فيها مؤمن آل فرعون ويقصد
منها تحذيرهم من التكذيب بالقرآن وقد افتتحها بأن تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم ثم ذكر انه ما يجادل فيه الا
الكافرون وانه سيهلكهم كما اهلك قبليهم قوم نوح والاحزاب
من بعدهم وقد همت كل امة برسولهم اياخذوه الخ وكما
اهلك فرعون وهامان وقارون لما ارسل اليهم موسى فقالوا

ساحر كذاب النخ ثم أمر النبي ان يصبر عليهم لان ما وعده من ذلك حق وذكر انهم يجادلون في القرآن بغير دايمل وانما هو الكبر يحملهم على تكذيبه وتخلق السموات والارض اكبر منهم وان الساعة لآتية وسيدخل جهنم صاغرين اولئك الذين يستكبرون عن عبادة الله وهو الذي جعل لهم الليل ليسكنوا فيه النخ . ثم أمره ثانيا بالصبر واخبره ان وعد الله حق فاما ان يريه بعضه او يتوفاه قبله فان له اجلا كما كان لوعد كل رسول قبله اجل اذا جاء قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون النخ ثم حشهم على السير في الارض لينظر واكيف حق وعد الله على الامم المعاصية وذكر انهم كانوا اذا ادركهم يقولون آمننا فلا ينفعهم ايمانهم « سنة الله التي قد خات في عباده وخسر هنالك الكافرون »

سورة حم فصلت

سميت بهذا لقوله فيها - كتاب فصلت آياته -
ويقصد منها التنويه بشأن القرآن وتحذيرهم من تكذيبه .
وقد ذكر أنه كتاب فصلت آياته النخ ثم ذكر اعراضهم عنه مع انه لا يدعوهم الا الى اله واحد فويل لهم من تكذيبه

والكفر بالله الذي خاق الارض في يومين النخ ثم حذرهم
أن تصيبهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ويفتضح امرهم
في الآخرة فيشهد عليهم سمعهم وابصارهم النخ ثم ذكر أنهم
قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وذكروا ما أعد لهم على
ذلك من عذاب وما أعد للمؤمنين من نعم . ثم امر النبي أن
يدفع سيئاتهم هذه بالحسنة ويستعيذ بالله من الشيطان اذا
زين له أن يقابلهم بالشر فان الله سميع عليم ومن آياته الليل
والنهار وغيرها فلا يخفى عليه الذين يلحدون في آياته النخ ثم
ذكر انه لا يقال له من ذلك الا ما قد قيل للرسول من قبله
فصبروا وانه لو جعل هذا القرآن الذي يعرضون عنه اعجبيا
لقالوا لولا فصلت آياته النخ ولولا ان الله اراد تأخير عذابهم
لقضى بينهم ولسكنه اخر ساعته الى وقت لا يعلمه الا هو
فاذا جاء عرفوا الله وانكروا شركاءهم وبلغ اليأس منهم
مبلغه . وهكذا عادة الانسان لا يسأم من دعاء الخير وان
مسه الشر فيؤس فنوط النخ ثم سألهم ماذا يفعلون اذا ظهر
أن القرآن من عند الله وجاء يوم عذابهم وسيرهم آياته
في الآفاق وغيرها حتى يتبين لهم أنه الحق النخ

سورة الشورى

سميت بهذا المدح الشورى فيها وبقصد منها اثبات
التوحيد وأنه وحده ما جاء النبي به هو دين الانبياء من قبله . وقد
ذكر انه يوحى اليه من ذلك ما أوحى الى الذين من قبله النخ
وأنه أوحى اليه مثلهم بهذا القرآن لينذر قومه بيوم الجمع النخ
ثم فصل هذا الاجمل وذكر انه شرع لهم من الدين ما ووحى
به نوحا ومن بعده الى عيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه . وإنما اختلف فيه من جاء بعدهم ولهذا جاء النبي ليدعوهم
اليه ولا يتبع أهواءهم والله يجمع بينه وبينهم واليه المصير النخ
ثم ذكر انه أمان يكون لهم شرعا شرعوا لهم خلاف هذا
الشرع ولولا أن الله قضى بتأخير عذابهم لعذبهم على ذلك
وأن الظالمين لهم عذاب الهم النخ وأما ان يقولوا ان النبي
افتراه على الله فن يشأ يختم على قلبه فلا يدعوهم اليه ويصح الله
بنفسه باطلهم النخ ثم ذكر انهم لا يمجزونه اذا زاد ذلك فن آياته
الجوار في البحر كالاعلام ان يشأ يسكن الريح فتقف او
ينفرقها بهم لينتقم منهم ويعلم الذين يجادلون في آياتنا النخ ثم
امرهم ان يستجيروا لله من قبل ان يأتيهم يوم لا مرد له من الله

فإن أعرضوا فليس على النبي إلا أن يبلغهم فإن الإنسان إذا
فصابه من الله رحمة اغتربها وأعرض كما يعرضون مع إن كل
أشياء لله يخلق ما يشاء الخ

ثم اجاب عن قواهم انه اقتراه بطريق الاقتناع بعد التهديد
فذكر انه لا يمكن ان يكلم الله بشرا الا وحييا أو من وراء
حجاب او بواسطة ملك وأنه كذلك يوحى اليه وما كان يدري
ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء
من عبادنا وانك تهدي الى صراط مستقيم (هو الشرع
السابق) صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض
الا الى الله تصير الامور

سورة الزخرف

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها التنويه بشأن
القرآن واثبات التوحيد الذي جاء به . وقد نوه بشأن القرآن
ثم اثبت أن الهيم هو الذي لا يمكنهم أن ينكروا أنه الذي خلق
السموات والارض الخ . ثم ابطل أن تكون الملائكة بناته
وذكر لهم شبهتين على عبادتها اولاهما انه لو شاء الله ماعبدها
وأجاب عنها بأنهم علام لهم بذلك وليس عندهم دليل عليه

وإنما هم يقلدون آباءهم فيقولون أنا وجدنا آباءنا الخ . ثم ذكر لهم ما كان من إبراهيم ورفضه تقليداً لآباءه وجعله كلمة التوحيد باقية في نسله إلى أن ضل عنها هؤلاء المشركون فلما جاءهم الرسول يدعوهم إليها قالوا هذا سحر وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الخ ثم امره أن يستمسك بالذي أوحى إليه من نفى الشركاء كما استمسك به الرسل من قبله وذكر له منهم موسى وما جرى له مع فرعون . والثانية أنهم قالوا أنها مثل عيسى الذي اتخذته النصارى ولداً وقد أجاب عنها بجوابين أولهما أنه لم يكن إلا عبداً أنعم الله عليه الخ وثانيهما أنه لو كان لله ولد عيسى أو غيره لسكان أول من يعبده وسبحان الله أن يكون له ولد وهو رب السموات والأرض الخ

سورة الدخان

سميت بهذا لذكر لفظه فيها وبراد منها التنويه بشأن القرآن وتحذيرهم من تكذيبه بعذاب يأتيهم يوم تأتي السماء بدخان مبين إذا نزل بهم القحط ثم يكشفه عنهم ويبطش بهم البطشة الكبرى يوم بدر أو يوم القيامة . وهذا كما بطش بفرون عفاغرة ونجى بنى إسرائيل واختارهم على العالمين الخ

سورة الجاثية

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ، يقصد منها الاحتجاج على صحة القرآن وما جاء به من التوحيد بآيات الله في السموات والارض النخ . وتحذيرهم من تكذيبه بما وراءهم من عذاب جهنم لا يعني عنهم ما كسبوا شيئا النخ ثم ذكر انه اتى بنى اسرائيل الكتاب فاختلفوا فيه من بعد ما جاءهم العلم واتبعوا اهواءهم ثم اتاه شريعة مثلها فيجب ان يتبها ولا يتبع اهواء قومه انهم لن يغفوا عنه من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض والله ولي المتقين . فانه لا ينكر ان يستوى الفريقان في ذلك بل لا بد ان تجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظنون . ثم ذكر انكارهم للبعث الذي يلاقون بعده ذلك وختم السورة بالكلام عليه

سورة الاحقاف

سميت بهذا لذكر اهل الاحقاف فيها ويقصد منها اثبات تنزيل القرآن . وقد ذكر انه منزل من الله العزيز الحكيم لذي خلق السموات والارض وما بينهما بالحق الخ ثم ذكر انهم قالوا انه مفترى وأجاب عن ذلك ثم ذكر انهم قالوا لو

كان خيرا ما سبقنا اليه صماليكنا وكان فيها اجاب به عن ذلك
مدحهم بانهم الذين قالوا ربنا الله الخ وبأن منهم الذي أحسن
الى والديه وقال رب اوزعنى الخ وممن اعدائهم الذي قال
لو اديه اف ل كما الخ ثم ذكر لهم قصة عاد بالاحقاف وانهم
كانوا اغني منهم فلم يغن عنهم ذلك شيئا . ثم ذكر ان القرآن الذي
ينكرون ان يكون خيرا سمعه نقر من الجنة فآمنوا به
وولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا الخ ثم أمره ان يصبر
على اذام وينتظر ما يوعدون به كأنهم يوم يرونه لم يلبثوا الا
ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون .

سورة القتال

سميت بهذا لانه ذكرت فيها احكامه وتحريمه عليه
وقد ذكر الكافرين وسددهم عن سبيل الله والمؤمنين واتباعهم
الحق من ربهم ثم سلطهم على قتالهم ورفيعهم فيه بأن الذين
يقتلون منهم فيه لن يضل اعمالهم الخ وبأنه ينصرهم عليهم
ويثبت أقدامهم الخ وبأنه يدخلهم جنات تجري من تحتها
الانهار الخ ثم ذكر المنافقين الذين لا يرغبون في القتال
وذمهم وشرح أحوالهم . ثم بين المسلمين ان يهنوا في القتال

وهون عليهم امر الحياة ودعاهم الى الانفاق من اموالهم في
القتال وختم السورة بذلك

سورة الفتح

سميت بهذا لانها نزلت في غزوة الفتح . وقد
ذكر انه كان فتحا ميئنا وانه نصره به نصراً عزيزا وانه انزل
السكينة في قلوب المؤمنين حتى تم لهم . ثم مدحهم اذ بايعوه
على القتال ووقفوا بهدم ودم الذين تخلفوا من المنافقين وامر
النبي ان لا يقبلهم بعد هذا اذا انطلقوا الى منام فطلبوا منهم
ان يتبعوه . وذكر انهم اذا ارادوا ان يكفروا عن تخلفهم
فسيدعون الى قوم اولى باس الخ . ثم ذكر انه رضى عن
المؤمنين عام الحديبية اذ منعوا من دخول مكة وبايعوا النبي
تحت الشجرة فاثابهم بهذا الفتح الخ

سورة الحجرات

سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويراد منها ابرار المؤمنين
الى طائفة من الآداب كأن لا يقدموا بين يدي الله ورسوله
ولا يرفعوا اصواتهم فوق صوته ولا يتنادوه من وراء
الحجرات ولا يسمعوا قول الفاسق اذا جاءهم نبأ حتى يتبينوه

وان يصلحوا بين للتقاتلين ولا يسخر بعضهم من بعض
ويحتنبوا ظن السوء ولا يغتب بعضهم بعضا فهم اخوان خلقهم
الله من ذكر وانثى الخ ثم ذكر الاعراب وضعف ايمانهم لانهم الذين
كانوا يرفعون أصواتهم وينادونه من وراء الحجرات وختم
السورة بالكلام عليهم

سورة ق

يراد منها اثبات البعث وقد أقسم بالقرآن انهم يبعثون ثم
ذكر انهم ينكرون ان يبعثوا بعد ان يصبروا تراباً وتأكلهم
الارض وأجاب بأنه يعلم ما تنقص الارض منهم وذكر لهم
كيف بنى السماء الخ وانه لم يمس بخالقهم اول مرة وانه خالق
الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه الخ ثم أمر النبي ان يصبر
على ما يقولون من ذلك ويستمع يوم ينادي المناد الخ

سورة الذاريات

يراد منها إثبات ما يوعدون من عذاب الدنيا والآخرة
وقد أقسم على ذلك بالذاريات وما معها ثم ذكر سؤالهم عن
زمانه واجاب بأنه يوم هم على النار يفتنون الخ ثم ذكر ما يدل
عليه من آيات الله في الارض وفي انفسهم الخ وانه وقع لمن

قبلهم من الارلين قوم لوط وفرعون وعاد الخ ثم أمرهم ان
يفرروا الى الله تبارك ان يأتيهم ولا يجعلوا معه الها آخر وذكر
انهم اذا كذبوه في ذلك فقد كذب به اولئك الاقوام من
قبلهم فليس عليه الا ان يتولى عنهم ويذكر المؤمنين الخ

سورة الطور

وهي في ذلك العذاب أيضا وقد أقسم عليه بالطور وما
معه ثم فصل ما يحصل لهم فيه وكذلك ما أعد للمتقين ثم
أمر النبي أن يذكر بهذا من يتذكر ونفى عنه ما يرمونه به من
من الكهانة والجنون والشعر الخ ليعلموا أن ذلك حق ثم
أمره ان يتركهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون الخ

سورة النجم

يراد منها اثبات اتصال النبي بالملائكة الاعلى وتنزيه الله عن
أن يكون لها شركاء من اللات والعزى وهنارة التي يتخذونها
على مثال الملائكة ويقولون انها بنات الله ويتظنون شفاعتها
وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد
أن يأذن الله الخ ثم أمر النبي ان يعرض عنهم وذكر انهم
لاعلم لهم بذلك ولا بد أن يجزوا على اسماهم ولا شفاعته

لهم كما يجزي الذين أحسنوا بالحسنى الخ ثم سفة من يضمن
منهم عذاب الله أو يحمله عن غيره كأن عنده علم الغيب أو
لم يبنأ بما في صحف موسى وإبراهيم الأنزروا وازرة ووزر أخرى الخ
(سورة القمر) يراد منها إثبات المعاد وقد ذكر أن

الساعة قد اقتربت ثم حذرهم من التكذيب بها بما جرى قبلهم
لمن كذب بها من قوم نوح وعاد الخ

(سورة الرحمن) يقصد منها دعوتهم إلى الله بمراد
نعمه عليهم وبيان ما أعد للمجرمين من العذاب ولمن خاف
مقام ربه من نعيم الجنات

(سورة الواقعة) الغرض منها التذكير بيوم القيامة وما
أعد فيها لأصحاب اليمين والسابقين منهم وكذا أصحاب المشأمة
وقد ذكر هؤلاء بمد هذا بأنه هو الذي خلقهم وقدر بينهم
الموت فهو قادر على أن ينشئهم نشأة أخرى الخ ثم أقسم بمواقع
النجوم أن القرآن الذي يمدح بهذا قرآن كريم الخ وذكر أنهم
إذا كانوا يكذبون بحديث البعث فهلا إذا بلغت الروح
الحلقوم عند الموت يرجعون إذا كانوا صادقين في أنهم لا يبعثون
ولا يدانون الخ

(سورة الحديد) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها بيان عظمة الله ودعوتهم إلى الإيمان به ورسوله وإلى الانفاق في سبيله وتوغيبهم فيه بما ذكر فيها من وجوه الترغيب

(سورة المجادلة) سميت بهذا لأنها نزلت في مجادلة النبي في الظهار وكان في الجاهلية من أشد أنواع الطلاق ويقتضى فرقة مؤبدة فشرع الله له أحكاما أخرى وحذرم من تعديها وهدد من يتعدى حدوده أو يحاد الله ورسوله من المنافقين وغيرهم وذكر انه يعلم ما يتناجون به من ذلك : ثم نهى المؤمنين أن يتناجوا مثلهم بالاثم والعدوان لتسلا يتباغضوا وأصرهم ان يفسح بعضهم لبعض في المجالس ليتعابوا . ثم أمرهم اذا ناجوا الرشول أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة الخ ثم عاد إلى المنافقين الذين يحادون الله ويتولون عنه وختم السورة بالكلام عليهم

(سورة الحشر) سميت بهذا لأنها نزلت في اجلاء بني النضير وحشرهم إلى الشام وقسمة فيثهم على الاصناف الخمسة المعلومة ومنهم فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم الثم وفي شرح ما كان من المنافقين معهم من قولهم لهم ان

أخرجهم ليخرجن معكم الخ وفي أمر المؤمنين بتقوى الله وان لا يذكروا كالمناقضين الذين نسوا الله وقد انزل عليهم هذا للقرآن الذي لو انزل على جبل لتصدع من خشية الله الخ

(سورة الممتحنة) سميت بهذا لان مما نزلت فيه امتحان المهاجرات وقد نزلت في أمور متجانسة أولها نهى المؤمنين عن اتخاذ اعدائهم من الكفار اولياء وهم الذين قاتلهم وأخرجهم من ديارهم بخلاف غيرهم. وثانيها نهى عن ارجاع المؤمنات المهاجرات إلى أزواجهن من الكفار واباحة نكاحهن لهم وتحريم الكواقر عليهم. وثالثها في أمر النبي بمبايعة المؤمنات اذا بايعنه على ان لا يشركوا بالله الخ

(سورة الصف) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويواد منها وتغيب المؤمنين في الجهاد وتحذيرهم من القول فيه بغير عمل لئلا يزيغ الله قلوبهم كما ازاغ قلوب قوم موسى الخ وقد ذكر ان الكفار يريدون ان يطفئوا نور الله ليضربهم عليهم وأن الجهاد في سبيل الله تجارة رابحة تنجيهم من عذاب اليم الخ

(سورة الجمعة) سميت بهذا لانها فرضت فيها للمؤمنين بدل السبت لليهود بعد ان رد على اليهود زعمهم أنهم اولياء

لله من دون الناس فلا يمكن ان يبعث من الاميين
(العرب) نبي

(سورة المنافقين) سميت بهذا لان كل آياتها فيهم
وتحذير المؤمنين منهم

(سورة التغابن) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد
منها اثبات التوحيد والبعث وتحذير الكفار من عذاب
الدنيا والاخرة ودعوتهم الى طاعة الله والرسول فهي خير
لهم من أزواجهم وأولادهم وأموالهم التي هي سبب قتلهم

(سورة الطلاق) سميت بهذا لانها نزلت في احكام
الطلاق وما يتصل به من عدة ورضاع وقد ختمت بتحذيرهم
من مخالفة أمر ربهم فيه لئلا يصيبهم ما اصاب كل قرية عنت
عن امر ربها النخ

(سورة التحريم) سميت بهذا لانها نزلت في تعريم
مارية وقد أسر به النبي الى حفصة فأخبرت به عائشة فأمرها
الله بالتوبة من ذلك وحذرهما فيمن حذرهم نارا وقودها
للناس والحجارة النخ

(سورة الملك) سميت بهذا لذكر لفظه فيها ويقصد منها

الدعوة الى الايمان بالله والتحذير من الكفر به
(سورة القلم) سميت بهذا لانه اقسام به فيها ويراد منها
تنزيه النبي عما يرمونه به من الجنون وانت ما يتلوه عليهم
أساطير الأواين وتهدينهم على ذلك بما هددهم به
(سورة الحاقة) وهي القيامة التي كذبت بها ثمود وعاد
ويراد من السورة تهويل أمرها وشرح بعض أحوالها
(سورة المارج) سميت بهذا لذكر لفظه فيها وهي في
عذاب يوم الآخرة الذي سأل عنه بعضهم فأجيب بأنه واقع الخ
(سورة نوح) سميت بهذا لانها من اولها الى آخرها في قصته
(سورة الجن) سميت بهذا لانها نزلت في الجن حين
استمعوا القرآن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا وقد مضى في
كلامهم الى ان ذكروا أن منهم مسلمين ومنهم فاسقون
فقال عن هؤلاء بقطع النظر عن كونهم من الجن انهم لو استقاموا
على الطريقة لاستقيناهم ماء غدقا وختم السورة بالكلام فيهم
(سورة المزمل) يراد منها ارشاد النبي الى ما ذكر فيها
من احكام وآداب وتصبيره على أذى قومه وتحذيرهم من مخالفته
(سورة المدثر) يراد منها ارشاد النبي ايضا وتصبيره وتحذيرهم

(سورة القيامة) سميت بهذا لانه اقسام بها ليعتقن
وكلمها سياق واحد في البعث وما يتعلق به . وقوله لا تحرك
به لسانك ليس فيه قطع للسياق بل هو خطاب للانسان
المذكور في قوله « ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر » اذا
قرأ كتاب أعماله بسرعة

(سورة الدهر) سميت بهذا لذكر لفظه فيها وقد قسم
فيها الانسان الى شاكر وكافر وبين ما أعد لكل منهما
وختمت بتصوير النبي ونبيه عن طاعة كل آثم وكافر

(سورة المرسلات) يراد منها اثبات البعث وتهديد من
بما يوعدون فيه وكذلك سورة النبأ والنازعات

(سورة عبس) يقصد منها عقاب النبي وقد عبس لمن
جاءه للتذكرة وتصدى لمن استغنى عنها وقد ختمها برفع شأن
تلك التذكرة ومدح من يتذكر بها وضم من يكفر بها ولقته اليها
(سورة التكويد) سميت بهذا لقوله فيها « كورت »

ويقصد منها بيان ان كل نفس مسئولة عما قدمت يوم
الآخرة وان ذلك لا شك فيه لانه قول رسول كريم الخ
وكذلك سورة الانفطار

(سورة المطففين) يراد منها تحريم التطفيف وتهديد
المطففين الفجار وتبشير الابرار الذين لا يظننون
(سورة الانشقاق) سميت بهذا لقوله فيها (انشقت)
ويقصد منها ان كل انسان ملاق عمله يوم القيامة وتفصيل ذلك
(سورة البروج) يقصد منها تهديد المشركين بمثل
ما جرى لاصحاب الاخدود وفرعون وشمود
(سورة الطارق) يقصد منها بيان ان كل انسان
محفوظ عليه عمله وان الله قادر على رجعه ليحاسبه عليه
(سورة الاعلى) سميت بهذا الذكر لفظه فيها ويقصد
منها الدعوة الى الله فمن اجاب نجا ومن خالف هلك
(سورة الغاشية) هي القيامة التي تكون فيها وجوه
خاشعة ووجوه ناعمة الخ وقد ختمت بلفت نظرهم الى الابل
كيف خلقت . . . ليعلموا ان الله قادر على بعثهم
(سورة الفجر) سميت بهذا لانه اقسم فيها بالفجر وما
معه انهم ليعذبون كما عذبت عاد وشمود وفرعون وقد ذكر
بعد هذا ان الله لم بالمرصاد يرى رضاهم اذا اكرمهم
وخطهم اذا ضيق رزقهم وانهم لا ينكرون اليتم للبحر

(سورة البلد) هي مكة وقد اقسم بها انه خلق الانسان
يكابد المصائب وانشدائد فلا يصح له ان يفتخر بقوته وبما
ينفقه في وجوه الشر وقد جعل الله له عينين واساها وبين له
طريق الخير والشر فهلا أنفق ماله في فك رقبة الخ

(سورة الشمس) أقسم بالشمس وماءعها ان من يزكي
نفسه يفلح ومن لا يزكها يخيب كما خابت نود حينما كذبت رسولها
(سورة الليل) يقصد منها تقسيم الناس الى فريقين
طائع وعاص وبيان حال الفريقين

(سورة الضحى) يواد منها تطيب خاطر النبي وبيان
فضل الله عليه وكذلك سورة الانشراح

(سورة التين) سميت بهذا لانه اقسم به انه خلق
الانسان في أحسن تقويم الخ فهو قادر على بعثه يوم الدين
(سورة العلق) يقصد منها الدعوة الى الله وضم من يصدر
عنه ويكذب به وتهديده اذا لم ينته عن ذلك بما هدده به
(سورة القدر) يواد منها تشرىف ليلة القدر التي أنز

فيها القران الكريم

(سورة البينة) وهي محمد الذي لو لم يبعث لبقى الكافرون

على كفرهم فالسزرة في بيان الحاجة الى رسالته
(سورة الزلزال) يقصد منها التذكير بيوم القيامة الذي
يجازى فيه الناس على أعمالهم من خير او شر
(سورة العاديات) وهي الخيل تمدو في الجهاد اقسام
بها ان الانسان كنود وهدده على ذلك بما هدده به
(سورة القارة) وهي القيامة ويراد من السورة
شرحها وبيان حال من تقات او خفت موازينه فيها
(سورة التكاثر) يقصد منها ردعهم عن التكاثر بالاموال
والاولاد للذي اطاهم من طاعة الله
(سورة المص) يقصد منها بيان فضل العمل الصالح
والتواصي بالحق والصبر

(سورة الهمزة) يقصد منها تحريم الهمز واللمز
(سورة الفيل) يراد منها التذكير بعناية الله بالبيت الحرام
(سورة قريش) الغرض منها دعوتهم الى عبادته
(سورة الماعون) سميت بهذا لانه حرم فيها امور منها منع الماعون
(سورة الكوثر) يراد منها تشریف النبي وانه اعطى
ما هو خير من الولد

(سورة الكافرون) الغرض منها قطع طمع الكافرين
من موافقة النبي لهم
(سورة النصر) يقصد منها تبشير النبي بالنصر على
اعدائه ودخول الناس في دينه أفواجا
(سورة الهمم) نزلت في نهدي أبي لهب وامرأته حمالة الحطب
(سورة الاخلاص) يقصد منها تنزيه الله عن
الشريك والولد

(سورة الفلق) يراد منها ارشاد الناس الى الالتجاء
الى الله في دفع شرور الخلق التي تؤذي الجسد . ويراد من
سورة الناس ارشادهم الى الالتجاء اليه في دفع ما يفسد منها
القلب وبالسورتين ختم القرآن والدعاء بتأب الختام

نظرات ختاميات

- ١ -

توجد سور كثيرة تتفق في غرض واحد كآيات
يحيى ومثل القرآن في هذا صحيفة من صحفنا اليومية
ت نفسها لغرض وطني او ديني . أليست تصدر كل يوم
ها ذلك الغرض بلون لا يختلف عن سابقه في الجوهر

ولا يسأماها القراء بل يقبلون عليها بشغف . فلا غرابة في أن
يسلك القرآن هذا السبيل في تأييد الدعوة الإسلامية . وإنما
كان يكون غريبا أن يصدر بلون واحد في اثبات التوحيد
مثلا يكرره أمام أصرارهم ثلاثا وعشرين سنة

- ٢ -

ان السورة قد تكون في اثبات صحة القرآن ولا
تخلو من كلام في التوحيد او الرسالة او المعاد أو الوعد
والوعيد والعكس بالعكس وسبب هذا ان هذه أمور جاء
بها القرآن وكانت سببا في انكارهم له فلما اشتركت في هذا
صح ان تأتي السورة في بعضها ثم تتناول في بعض نواحيها غيره منها
(تم الجزء الثالث)

(تذييه) وقع في سورة الكهف خطأ في وضع العناوين

لا يخفى على القارئ

وفي أول صفحة ٢٢٣ يزداد كلمة (تهديد و)

